الاحتفال بالمولد النبوي في ضوء آيات القرآن العظيم

دراسة قرآنية موضوعية استدلالية

بقلم

د. علوي بن أحمد بن حسين العيدروس

مكتبة تريم الحديثة

الاحتفال بالمولد النبوي
في
ضوء آيات القرآن العظيم

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

عنوان الكتاب: الاحتفال بالمولد النبوي في ضوء آيات القرآن العظيم

تأليـــــــف: د. علوي بن أحمد بن حسين العيدروس

عدد الصفحات: ١١٠

قياس القطع: ١٤,٨ × ٢١

التنضيد والتنسيق الطباعي والإخراج

مكتبة تريم الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

حضرموت -تريم

هاتـف: +967 5 417130 E.M: tmbs417130@hotmail.com

فاكس: +967 5 418130 OR: mab418130@ hotmail.com

جـوال: +967 777417130 مكتبة تريم الحديثة (مجموعة) : Facebook

الاحتفال بالمولد النبوي

في

ضوء آيات القرآن العظيم

دراسة قرآنية موضوعية استدلالية

بقلم

د. علوي بن أحمد بن حسين العيدروس

المقدِّمة

الحمد لله القائل: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، من قال عندما سئل عن صيام يوم الاثنين -: ((**ذاك يوم ولدت فيه**))، وعلى آله وصحبه أجمعين من يومنا هذا إلى يوم الدين.

أما بعد ..

فإن الله تعالى اختار زمرة من عباده واصطفاهم لرسالته، وخصهم بخصوصيات لا يشاركهم فيها أحد، وفضل من بينهم، فاختار حبيبه محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ صفوة أنبيائه، وأثنى عليه في كثير من آيات كتابه، ويرحم الله الخطيب الأندلسي حين قال:

مدحتكَ آياتُ الكتاب فما عسَى ... يُثني على عَلياكَ نظمُ مدِيحي

وإذا كتــابُ الله أثنَــى مفصحاً ... كان القصورُ قصار كل فصيحِ

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وإذا كان هذا النبي الكريم قد عظمه ربه

فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[الأحزاب: ٥٦]، فحري بالمسلمين أيضاً أن يعظموه ويوقروه.

وإن من المسائل الاجتهادية التي تنبني على ذلك (مسألة الاحتفال بالمولد النبوي)، والتي وقع فيها جدال واسع يتكرر كل عام، ونتيجة لما يحدث في مجتمعنا من التنافر والخصام بل والسب على المنابر، بل وأسوأ من ذلك، قال الدكتور عبد الإله العرفج في كتابه ((مفهوم البدعة وأثره في اضطراب الفتاوى المعاصرة)): صـ ٢٧: "سمعت بأذني أحد الخطباء يقول: (**إن الذي يحتفل بالمولد النبوي أعظم إثماً ممن يشرب الخمر ويسرق ويزني ويقتل**). فهل يُصدَّق صدور مثل هذا الكلام من مسلم في حق أخيه المسلم؟!

وكوني مدرساً بالجامعة، فبمجرد دخول شهر ربيع الأول تكثر الأسئلة حول هذا الموضوع، حتى سألني بعض الطلاب: لماذا لا تكتب لنا بحثاً مختصراً في هذا الموضوع؟ فاعتذرت بانشغالي بأمور أخرى أهم.

ولما حدثت أزمة كورونا وتعطلت الأربطة والمدارس والجامعات، بل اشتلت الحياة نوعاً ما، وأرغم الناس على القرار في البيوت، حينها وجدت الفرصة حيث الوقت الكثير، فشرعت في الكتابة والحمد لله الذي يسَّر لنا ذلك حتى أكملنا هذا البحث، فله الحمد أولاً وآخراً.

وقد كتب عن موضوع المولد كثير بين مؤيد ومعارض، فأحببت أن

أدرس الموضوع من جانب جديد، ولما كان تخصصي (تفسير وعلوم قرآن) طرقت البحث من باب القرآن الكريم، ولكون القرآن الكريم فيه بيان كل شيء، والمسائل المحدثة كذلك، فكتاب الله خير مبيِّن لها.

وليس غرضي من هذا البحث إثارة المسائل الخلافية، والإسهاب في ذلك، بل الغرض الأول جمع الشمل، وبث روح التسامح في مثل هذه الأمور، ونبذ الخلاف والتعصب، من خلال إثبات أن هذه المسألة اجتهادية تختلف فيها الأنظار، ولكل أدلته، ولكن من تعمق في نصوص القرآن الكريم وجد فيه الدلالة على جواز ذلك كما سيأتي، ومن قال بالمنع نحترم رأيه فكلنا صدور رحبة لآراء الآخرين، وكلنا يد واحدة وإن اختلفنا في بعض الأمور؛ ولذلك جعلت آخر البحث خاتمة في أدب الاختلاف، ذكرت فيها أهم القواعد والضوابط لمسألة الاختلاف، ومن ثم كيفية التعامل معها وبالذات القواعد الأخلاقية.

ولا يسعني إلا أن أشكر كل من ساعدني في كتابة هذا الجهد المتواضع وأمدَّني بعلمه أو فهمه أو كتبه، أو حتى بالتشجيع بالكلمة الطيبة، إلى كل هؤلاء، وكل محب لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ أقول لهم:

ولو أنَّنــي أوتيــتُ كلَّ بلاغةٍ وأثنيتُ بحرَ القولِ والنظمِ والنثرِ

لمــا كنتُ بعد القــولِ إلا مقصِّراً ومعترفاً بالعجزِ عن واجبِ الشكر

فأسأل الله ﷻ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الكاتب والقارئ، وأن يكون هذا البحث سبباً للتقريب بين الناس والتراحم فيما بينهم، وجمع شمل المسلمين؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول
عظمة القرآن العظيم

إن من أعظم نعم الله علينا هذا القرآن العظيم الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وهو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ولا يَخْلق عن كثرة الرد بل يظل طريَّاً جديداً كأنه أُنزل الآن، ولا يشبَع منه العلماء فلا يزالون ينهلون من علومه، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، وخير ما يدلنا على عظمة هذا الكتاب، القرآن العظيم نفسه:

يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧].

بل وصفه الله بأنه (روح)، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ

مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴾ [الشورى: ٥٢]، فالقرآن الكريم هو الروح التي تمدنا بالحياة، ولا فائدة من جسد بلا روح.

وقد وصفه الله جل وعلا بصفة العظمة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧].

وهذه العظمة لها مظاهر ودلائل نلخصها في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول
مظاهر عظمة القرآن العظيم

إن لعظمة القرآن العظيم مظاهرَ كثيرة يصعب حصرها لكن نكتفي بذكر أهمها على النحو الآتي:

١. تفضل الله تعالى بإنزال القرآن العظيم:

من مظاهر عظمة القرآن العظيم أن الله تعالى أثنى على نفسه الشريفة لتفضّله بإنزاله، وعلَّم عبادَه أيضا كيف يثنون عليه تعالى من أجل إنزال الكتاب، فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾ [الكهف: ١]، قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "علَّم اللهُ جلَّ وعلا عبادَه في أَوَّل هذه السُّورةِ الكرِيمة أن يحمدوه على أعظَم نعمةٍ أَنعمها عليهم؛ وهي إِنزالُه على

نبيِّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هذا القُرآن العظِيم، الَّذي لا اعوِجاج فيه، بل هو في كمالِ الاستقامة، أَخرجهم به من الظُّلمات إلى النُّور، وبيَّن لهم فِيه العقائد، والحلال والحرام ،وأسباب دخول الجنَّة والنَّارِ، وحذَّرهم فيه من كلِّ ما يضرُّهم، وحضَّهم فِيه على كلِّ ما ينفعهم، فهو النِّعمةُ العظمى على الخلق، ولذا علَّمهُم ربُّهم كيف يحمدونه على هذه النِّعمة الكبرى"(١).

ومن ثناء الله تعالى على نفسه الشَّريفة لتفضِّله بإنزال القرآن العظيم، قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، قال الشيخ ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "وظاهر قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ أنَّه إخبارٌ عن عظمة الله وتوفُّر كمالاته فيكونُ المقصود به التَّعليم والإِيقاظ، ويجوز مع ذلك أن يكون كنايةً عن إِنْشَاءِ ثناءٍ على الله تعالى أنشأ الله به ثناءً على نفسه كقوله: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] على طِريقة الكلام العربيِّ في إِنشاء التَّعجُّب من صفات المتكلِّم في مقام الْفَخْرِ وَالْعَظَمَةِ ...، والذي نزَّل الفرقان هو الله تعالى، وإذ قد كانت الصِّلة من خصائص الله تعالى كان الفعل كالمسند إِلى ضمير المتكلِّم فكأنَّه قيل: تباركت.

والموصول يُومئ إلى علَّة ما قبله فهو كنايةٌ عن تعظيم شأن الفرقان وبركته على النَّاس من قَوْلِهِ: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ فتلك منَّةٌ عَظيمةٌ تُوجب الثَّناء

---

(١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» للشنقيطي: ٣/ ١٩١.

على الله، وهو أيضاً كنايةٌ عن تعظيم شأن الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام"[١].

٢. نزوله في أفضل الأزمنة:

ومن مظاهر عظمة القرآن العظيم أن الله تعالى أنزله في أفضل الأزمنة في شهر رمضان المبارك، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[البقرة: ١٨٥].

وقد أنزل في ليلة مباركة من هذا الشهر المبارك، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[الدخان: ٣]. قال الشيخ ابن عاشور: "فبركةُ الليلة التي أُنزِل فيها القرآن بركةٌ قدَّرها الله لها قبل نزول القرآن؛ ليكون القرآنُ بابتداء نُزولِه فيها ملابساً لوقت مبارك فيزداد بذلك فضلاً وشرفاً، وهذا من المناسبات الإِلهيَّة الدَّقيقة التي أنبأنا الله بِبعضها"[٢].

وهذه الليلة المباركة هي ليلة القدر والشرف والرفعة التي قال الله فيها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[القدر: ١ - ٣]، قال الشيخ ابن عاشور: "وفي ضمير العظمة وإسناد الإِنزال إليه تشريفٌ عظيمٌ للقرآن"[٣].

---

(١) ((التحرير والتنوير)): ١٨/ ٣١٥.

(٢) المصدر نفسه: ٣٥/ ٢٧٨.

(٣) المصدر نفسه: ٣٠/ ٤٥٦.

٣. نزوله بأرقى اللغات وأجمعها:

لقد اختص الله تعالى اللغة العربية من بين سائر اللغات، بل اختارها ﷻ لتكون لغة آخر كتبه، وهذا الاختيار من الحق ﷻ لهذه اللغة الحاكمة على كل اللغات، إنما يعود إلى ما تمتاز به من مرونة واتساع وقدرة على الاشتقاق، والنحت والتصريف، وغنى في المفردات والصيغ والأوزان(١).

والذي يدرس لغات العالم يقر بأن اللغة العربية هي أم اللغات وأجمعها للمعاني الكثيرة المندرجة تحت الألفاظ القليلة، وهذا يدل على عظمة القرآن العظيم أنه نزل بأفضل اللغات وأرقاها: اللغة العربية، وقد أشاد القرآن العظيم بها في أكثر من موضع، منها: قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢]، وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [فصلت: ٣].

وقد يسأل سائل فيقول: ما الحكمة من إنزال القرآن العظيم باللغة العربية دون غيرها من لغات العالم؟ أجاب الشيخ ابن عاشور عن ذلك فقال: "وقد أراد الله تعالى أن يكون القرآن كتاباً مُخاطَباً به كلُّ الأمم في جميع العصور، لذلك جعله بلغةٍ هي أفصح كلامٍ بين لغات البشر وهي اللُّغة العربية، لأسبابٍ يلوح لي منها: أَنَّ تلك اللُّغة أوفر اللُّغات مادَّةً، وأقلُّها

---

(١) ينظر: ((لغة القرآن مكانتها والأخطار التي تهددها)) د.إبراهيم بن محمد بن عباة: صـ ١١ – ١٢.

حروفاً، وأفصحها لهجةً، وأكثرها تصرُّفاً في الدَّلالة على أغراض المتكلِّم، وأوفرها ألفاظاً، وجعله جامعاً لأكثر ما يمكن أن تتحمَّله اللُّغة العربِية في نظم تراكيبها من المعاني، في أقلِّ ما يسمح به نظم تلك اللُّغة، فكان قوام أسالِيبه جارِياً على أسلوب الإيجاز فلذلك كثر فيه ما لم يكثر مثله في كلام بلغاء العرب"[١].

ومعلوم أن العرب أمَّة جُبلت على ذكاء القرائح وفطنة الأفهام، فكانوا أرباب الفصاحة والبلاغة وأصحاب اليد الطَّولى في ذلك؛ فلذلك تنوعت أساليب كلامهم، فيكثر في كلامهم المجاز والاستعارة والتمثيل والكناية والتعريض والاشتراك وغيرها من الأساليب التي تحوي المعاني البديعة، وكيفية إيصالها إلى المتكلم بأوضح إشارة وأوجز عبارة.

ولما كان القرآن العظيم وحياً من الله تعالى أراده أن يكون معجزةً وآيةً على صدق رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ وتحدَّى بلغاء العرب بأقصر سورة منه، فقد نُسج نظمه نسجاً بالغاً منتهى ما تسمح به اللغة العربية من الدقائق واللطائف لفظاً ومعنى.

٤. عالمية القرآن العظيم:

ومن مظاهر عظمة القرآن العظيم كونه رسالة خالدة للخلق عامة،

---

(١) ((التحرير والتنوير)): ١/ ٩٨ .

خاطب الله تعالى به جميع البشر إلى يوم القيامة، فلم يُقيد بزمان ولا بمكان ولا جنس ولا طبقة، بل هو موجَّه إلى الثقلين خاطبهم جميعاً بما يُسعدهم في الدنيا والآخرة من العقائد الصحيحة والعبادات الحكيمة والأحكام الرفيعة والأخلاق الفاضلة التي تستقيم بها حياتهم.

ولقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة على عالمية القرآن العظيم، وقد ذكر بعضهم "أن عدد الآيات الدالة على عالمية القرآن تزيد على ثلاثمائة وخمسين آية"(١).

ومن هذه النصوص قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤]، [ص: ٨٧]، [القلم: ٥٢]، [التكوير: ٢٧].

قال الرازي: "لَفْظَ ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ يتناول جميع المخلوقات فدلَّت الآية على أنَّه رسولٌ للخلق إلى يوم القيامة، فوجب أن يكون خاتم الأنبياءِ والرُّسل"(٢).

وما دام أن القرآن العظيم رسالة عالمية للخلق قاطبة، فلا شك أن الرسول الذي كانت رسالته القرآن العظيم هو رسول عالمي أيضاً، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧]، قال الشيخ ابن عاشور:

---

(١) ((دلالة أسماء سور القرآن الكريم من منظور حضاري)) د. محمد خليل جيجك: صـ ١٣٢.

(٢) ((تفسير الرازي)): ٢٤/ ٤٢٩.

"صيغت بأبلغ نظمٍ إذ اشتملت هاته الآية بوجازة ألفاظها على مدح الرَّسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ومدح مرسله تعالى، ومدح رسالته بِأن كانت مظهر رحمة الله تعالى للنَّاس كافَّةً وبأنَّها رحمة الله تعالى بخلقه.

فهي تشتمل على أربعةٍ وعشرين حرفاً بدون حرف العطف الذي عطفت به، ذكر فيه الرَّسول، ومرسله، والمرسل إليهم، والرِّسالة، وأوصاف هؤلاء الأربعة، مع إفادة عموم الأحوال، واستغراق المرسل إليهم، وخصوصيَّة الحصر، وتنكير ﴿رَحْمَةً﴾ للتَّعظيم، إذ لا مقتضى لإيثار التَّنكير في هذا المقام غير إرادة التَّعظيم، وإلَّا لقيل: «إلَّا لنرحم العالمين»، أو «إلَّا أنَّك الرَّحمة للعالمين»، وليس التَّنكير للإفراد قطعاً لظهور أنَّ المراد جنس الرَّحمة، وتنكِير الجنس هو الذي يعرض له قصد إرادة التَّعظيم. فهذه اثنا عشر معنىً خصوصِياً، فقد فاقت أجمعَ كلمةٍ لبلغاء العرب، وهي:

قِفَا نبك مِــن ذِكرى حَبِيبٍ ومنزِلِ ....

إذ تلك الكلمة قصاراها كما قالوا: «أنَّه وقف واستوْقَف وبَكى واسْتَبْكى وذكر الحبيبَ والمنزِل» دون خصوصيَّةٍ أزيد من ذلك فجمعَ ستَّةَ معان لا غير"(١).

* * *

---

(١) «التحرير والتنوير»: ١٧/ ١٦٥.

المطلب الثاني

دلائل عظمة القرآن العظيم:

المقصود بدلائل عظمة القرآن: هي الأمور الحسية والواقعية التي تدلنا على أن هذا القرآن عظيم وهذه الدلائل تفوق الحصر، ومن أمثلتها إجمالاً: اتساق القرآن العظيم على نسق واحد، وتحقق أخباره الغيبيَّة المستقبلية، وأنه معجزة لا تنتهي، وقد بلغ الغاية في البلاغة والفصاحة، وحوى كل ما يحتاجه البشر في المعاش والمعاد، وهكذا...

وسيقتصر حديثنا على دلالتين هامتين، خوفاً من الإطالة وتجنباً للسآمة والملل من كثرة الحديث، وهما على النحو الآتي:

١) كثرة العلوم المستنبطة من القرآن العظيم:

إن أكثر العلوم - إن لم يكن كلها - إنما نشأت في أحضان القرآن العظيم، بل كان القرآن العظيم سبباً لتدوينها ومن ثمَّ الاهتمام بها ودراستها.

علوم اللغة مثلا والتي تعتبر ركيزة مهمة في فهم القرآن العظيم، قال حجة الإسلام الغزالي: "ومن أراد أن يتكلم في تفسير القرآن وتأويل الأخبار ويصيب في كلامه؛ فيجب عليه أولاً: تحصيل علم اللغة والتبحُّر في فن النحو، والرسوخ في ميدان الإعراب، والتصرف في أصناف التصريف؛

فإن علم اللغة سلَّم ومرقاة إلى جميع العلوم، ومن لا يعلم اللغة فلا سبيل له إلى تحصيل العلوم؛ فإن من أراد أن يصعد سطحاً عليه تمهيد المرقاة أولاً ثم بعد ذلك يصعد ،وعلم اللغة وسيلة عظيمة، ومرقاة كبيرة، فلا يستغني طالب العلم عن أحكام اللغة، فعلم اللغة أصل الأصول"[١].

فعلوم اللغة إنما نشأت خدمة لكتاب الله تعالى وتجويده وفهمه، قال الرافعي: "فلا تجد من رجل روى أو صنَّف أو أمْلى في فنٍّ من فنون الآداب أول عهدهم بذلك، إلا خدمةً للقرآن الكريم؛ ثم استقلت الفنون بعد ذلك وبقي أثر هذا المعنى في فواتح الكتب؛ والقرآن نفسه حادثة أدبية من المعجزات الحقيقية التي لا شبهة فيها، وإن لم يفهم سر ذلك من لا يفهمونه"[٢].

وكذلك علوم الشريعة من تفسير وحديث وعقيدة وفقه وأصول ...، قال الإمام السيوطي: "واعتنى المفسِّرون بألفاظه فوجدوا منه لفظاً يدل على معنى واحد ولفظاً يدلُّ على معنيين ولفظاً يدل على أكثرٍ فأجروا الأوَّل على حكمه وأوضحوا معنى الخفيِّ منه، وخاضوا في ترجيح أحد محتملات ذي المعنيين والمعاني وأعمل كلٌّ منهم فكره وقال بما اقتضاه نظرُه واعتنى الأصوليُّون بِما فيه من الأدلَّة العقلِية والشَّواهد الأصلِيَّة والنَّظرِيَة

(١) ((الرسالة اللدنية)) للغزالي: صـ ٩٨ .

(٢) ((تاريخ آداب العرب)) للرافعي: ١/ ١٦ .

مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء: ٢٢] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة فاستنبطوا منه أدلَّةً على وحدانِيَّة الله ووجوده وبقائه وقدمه وقدرته وعلمه وتنزِيهِه عمَّا لا يليق به وسَمَّوا هذا العلم بأصول الدِّين.

وتأمَّلت طائفةٌ منهم معاني خطابه فرأت منها ما يقتضي العموم ومنها ما يقتضي الخصوص إلى غير ذلك فاستنبطوا منه أحكام اللُّغة من الحقيقة والمجاز، وتكلَّموا فِي التخصيص والإخبار والنص «الاجتهاد» والظَّاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والأمر وَالنَّهْيِ والنَّسخ إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب الحال والاستقراء، وسَمَّوا هذا الفنَّ «أصول الفقه».

وأحكمت طائفةٌ صحيح النَّظرِ وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام فأسَّسوا أصوله وفرَّعوا فروعه وبسطوا القول في ذلك بسطاً حسناً، وسمَّوه بعلم الفروع وبالفقه أيضاً"[١].

وليس هذا فحسب، بل حتى العلوم الحديثة من طب وهندسة وجبر وفيزياء واقتصاد و ... قد أشار إليها القرآن العظيم في بعض آياته العظام قال الغزالي: "وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله ﷻ وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن إشارة إلى مجامعها، والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن، ومجرد

(١) «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي: ٤/ ٣٣.

ظاهره التفسير لا يشير إلى ذلك، بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات، ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره"[١].

ويجب أن ننبه إلى أمر مهم للغاية، وهو أن القرآن العظيم هو كتاب هداية وإعجاز، وليس هو كتاب طب أو فيزياء أو فلك أو اقتصاد أو غير ذلك، فهذه العلوم ليست مقصودة لذاتها بل لما تحمله من عظة وعبرة، قال الزرقاني - تحت عنوان: (القرآن كتاب هداية وإعجاز)-: "وتحقيق القول في هذا الموضوع: أن القرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز من أجل هذين المطمحين نزل، وفيهما تحدث، وعليهما دل. فكل علم يتصل بالقرآن من ناحية قرآنيته أو يتصل به من ناحية هدايته أو إعجازه فذلك من علوم القرآن، وهذا ظاهر في العلوم الدينية والعربية.

أما العلوم الكونية والمعارف والصنائع، وما جدَّ أو يجد في العالم من فنون ومعارف كعلم الهندسة والحساب وعلم الهيئة والفلك وعلم الاقتصاد والاجتماع وعلم الطبيعة والكيمياء وعلم الحيوان والنبات، فإن شيئاً من ذلك لا يجمل عدُّه من علوم القرآن؛ لأن القرآن لم ينزل ليدلل على نظرية من نظريات الهندسة مثلا، ولا ليقرِّر قانوناً من قوانينها، وكذلك علم الهندسة لم يوضع ليخدم القرآن في شرح آياته أو بيان أسراره.

---

(١) ((إحياء علوم الدين)): ١/ ٢٨٩ .

وهكذا القول في سائر العلوم الكونية والصنائع العالمية، وإن كان القرآن قد دعا المسلمين إلى تعلمها وحذقها والتمهر فيها خصوصا عند الحاجة إليها، وإنما قلنا: إنه لا يجمل اعتبار علوم الكون وصنائعه من علوم القرآن مع أن القرآن يدعو إلى تعلمها لأن هناك فرقاً كبيراً بين الشيء يحث القرآن على تعلمه في عموماته أو خصوصياته، وبين العلم يدل القرآن على مسائله أو يرشد إلى أحكامه، أو يكون ذلك العلم خادما للقرآن بمسائله أو أحكامه أو مفرداته، فالأول ظاهر أنه لا يعتبر من علوم القرآن بخلاف الثاني، وهو ما نريد أن نرشدك إليه وأن تحرص أنت بدورك عليه"[١].

٢) خصوم القرآن العظيم وأعداؤه شهدوا بعظمته:

إن من أعظم دلائل عظمة القرآن العظيم أن شهد له أعداؤه، رغم عدم إيمانهم به، بل سخَّروا عقولهم وأموالهم لطمس معالمه وتحريفه، وكما قيل: **الحق ما شهدت به الأعداء.**

وقد سجل التاريخ قصص وأخبار لكثير من الكفار ممن استمع إلى القرآن العظيم فسرعان ما أبدى إعجابه، وبعضهم أسلم على إثر سماعه للقرآن العظيم، ولله در القائل:

---

(١) ((مناهل العرفان)): ١/ ٢٤ .

ومليحة شــهدت لهــا ضراتُها والفضل ما شــهدت به الأعداء[١]

وهذه النماذج كثيرة نقتصر على أهمها، وذلك على النحو الآتي:

١) شهادة الفيلسوف الفرنسي (ألِكْس لوازون) حيث يقول: "خلَّف محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للعالم كتاباً هو آية البلاغة، وسجِل للأخلاق، وكتاب مقدس، وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثاً مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية"[٢].

٢) شهادة المستشرق الألماني (د. شومبس)، حيث قال: "... وربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي مثلي بهذه الطريقة، فقد درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية، والأنظمة المحكمة، والبلاغة الرائعة التي لم أجد مثلها قط في حياتي، جملة واحدة منه تغني عن مؤلفات، ولا شك أكبر معجزة أتى بها محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن ربه"[٣].

وليس هذا فحسب، بل إن أعداء الإسلام أدركوا أن سرَّ بقاء المسلمين اليوم هو القرآن العظيم، ولولاه لم يكن للمسلمين أي أثر

---

(١) ((إعانة الطالبين)): ٤/ ٢٨٩ .

(٢) ((ينظر بالقرآن أسلم هؤلاء)) لعبد العزيز سيد الغزاوي: صـ ٦٣ .

(٣) المصدر السابق: صـ ٤٩.

اليوم، واستمع إلى الشهادة الآتية:

٣) شهادة وزير المستعمرات البريطانية (غلادستون)، فقد وقف وزير المستعمرات البريطاني (غلادستون) عام ١٨٩٥م، يقول لزملائه في مجلس العموم البريطاني، وقد أمسك بقرآن في يده: "لن تحقق بريطانيا شيئاً من غاياتها في العرب والمسلمين، إلا إذا سلبتْهم سلطان هذا الكتاب أولاً .. أخرجوا سر هذا الكتاب مما بينهم ،تتحطم أمامكم جميع السدود"[١].

بل أدركوا أن القرآن العظيم أقوى منهم ومن كل العالم، استمع إلى الشهادة الآتية:

٤) شهادة وزير المستعمرات الفرنسي (لاكوست)، فقد قال حين عجز عن فرْسنة الجزائر بعد جهد كبير خلال سنوات عديدة: "**ماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا**"[٢].

أضف إلى ذلك أن المسلمين لما فتحوا العالم إنما فتحوه بالقرآن العظيم، اقرأ الشهادة الآتية:

٥) شهادة (كوبولد) حيث يقول: "القرآن هو الذي دفع العرب إلى فتح

---

(١) ينظر: ((عالمية القرآن)) د. وهبة الزحيلي: صـ ١٤ .

(٢) ((قادة الغرب يقولون)) جلال العالم: صـ ٣١، عن مجلة المنار، عدد (٩ ـ ١١)، (١٩٦٢م).

العالم، ومكّنهم من إنشاء امبراطورية فاقت امبراطورية الاسكندر الكبير، والامبراطورية الرومانية سعةً وقوةً وعمراناً وحضارةً ...".

ويضيف قائلاً: "هذا هو الكتاب الذي خلق العرب خلقاً جديداً، ثم وحَّد صفوفهم، ودفعهم إلى العالم فاقتحموه وحكموه ..."[1].

وأخيراً وليس آخراً يمكن أن يقال وباختصار: إن عظمة الإسلام في عظمة القرآن، وإليك الشهادة الآتية:

و) شهادة الدكتورة ‹لورا فيشيا فاغليري›، حيث قالت: "إن عظمة الإسلام الكبرى هي القرآن ...، ولا يزال لدينا برهان آخر على مصدر القرآن الإلهي، هذه الحقيقة هي أن نص القرآن ظلَّ صافياً غير محرَّف طوال القرون التي ترامت بين تنزيله وحتى يومنا هذا ... .

إن هذا الكتاب الذي يتلى كل يوم في طول العالم الإسلامي وعرضه لا يوقع في نفس المؤمن أيما إحساس بالملل، على العكس إنه من طريقة التلاوة المكررة يحبِّب نفسه إلى المؤمنين أكثر فأكثر يوما بعد يوم ... حتى إننا لنجد اليوم - على الرغم من انحسار موجة الإيمان - آلافاً من الناس قادرين على ترديده عن ظهر قلب. وفي مصر وحدها عدد من الحفاظ أكثر من عدد القادرين على تلاوة الأناجيل عن ظهر قلب

(١) ((البحث عن الله)): صـ ٥١ .

في أوروبة كلها"[١].

فحريٌّ بنا نحن المسلمين أن نعرف قيمة هذا الكتاب الذي بين أيدينا، وندرك عظمته، ونجعله نبراساً لسلوكنا، ودستوراً لحياتنا، ونعتكف على قراءته حتى نتضلع من علومه ونرتشف من أسراره وأنواره.

(١) ((دفاع عن الإسلام)): صـ ٣٠ - ٣٢.

المبحث الثاني

الإجماع على أنه ما من نازلة أو حادثة إلا وفي كتاب الله بيان حكمها، وأمثلته التطبيقية

ويتكون هذا المبحث من المطلبين الآتيين:

المطلب الأول

الإجماع على أنه ما من حادثة إلا وفي كتاب الله بيان حكمها:

بما أن نصوص الشريعة - على كثرتها - معدودة محدودة، بينما الحوادث والنوازل والمستجدات لا تعد ولا تحصر، فقد أجمع العلماء على أنه لا تخلو واقعة عن حكم لله ﷻ: إما تصريحاً أو تلميحاً، تفصيلاً أو تأصيلاً، نصاً أو دلالة، واستندوا في إجماعهم هذا على أدلة متعددة من القرآن الكريم، من أهمها: قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [الروم: ٥٨]، [الزمر: ٢٧].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [النساء: ٢٦]: "أي ليبيِّن لكم أمر دينكم ومصالح أمركم، وما يحل لكم وما يحرم عليكم، وذلك يدل على امتناع خلو واقعة عن حكم الله تعالى، ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾"(١).

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾: "أي في اللوح المحفوظ فإنه أثبت فيه ما يقع من الحوادث. وقيل: أي في القرآن. أي: ما تركنا شيئاً من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن، إما دلالة مبيَّنة مشروحة، وإما مجملة يتلقى بيانها من الرسول عليه الصلاة والسلام، أو من الاجماع، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ النحل: ٨٩، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧] فأجمل في هذه الآية وآية (النحل) ما لم ينص عليه مما لم يذكره، فصدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا ذكره، إما تفصيلاً وإما تأصيلاً، وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]"(٢).

---

(١) ((تفسير القرطبي)): ٥/ ١٤٧.

(٢) ((تفسير القرطبي)): ٦/ ٤٢٠، وينظر: ((أحكام القرآن)) للكيا الهراسي: ٢/ ٤٢٧، و((الإكليل في =

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح حديث طلحة بن مصرف قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ((هل كان النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أوصى؟ فقال: لا. فقلت كيف كتب على النَّاس الوصيَّة أو أُمروا بالوصيَّة؟ قال: أوصى بكتاب الله))[١]، قال الإمام النووي: "أي بِالعمل بما فيه، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ ومعناه أنَّ من الأشياء ما يُعلم منه نصّاً ومنها ما يحصل بالاستنباط"[٢].

وقال عبدالله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لما اشتد بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وجعه قال: ((**ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا من بعده**. قال عمر: إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا وكثر اللغط قال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع))[٣]. قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأمَّا كلام عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقد اتَّفق العلماء المتكلِّمون في شرح الحديث على أنَّه من دلائل فقه عمرَ وفضائله ودقيق نظره؛ لأنَّه خشي أن يكتب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أموراً ربَّما عجزوا عنها واستحقُّوا العقوبة عليها لأنَّها منصوصةٌ لا مجال لِلاجتهاد فيها، فقال عمر: حسبنا كتاب الله لقوله تعالى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ وقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

= اسنباط التنزيل)) للسيوطي: ١/ ٨٩، و((التفسير المنير)) للزحيلي: ٥/ ٢٩ .

(١) أخرجه البخاري: ٥/ ٢٢٧، حديث رقم (٤١٩١)، ومسلم: ٣/ ١٢٥٦، حديث رقم (١٦٣٤) .

(٢) ((شرح النووي على مسلم)): ١١/ ٨٨ .

(٣) أخرجه البخاري: ٣/ ١١١١، حديث رقم (٢٨٨٨)، ومسلم: ٣/ ١٢٦٠، حديث رقم (١٦٣٧) .

فعلم أنَّ الله تعالى أكمل دينه فأمن الضَّلال على الأمَّة وأراد التَّرفيه[١] على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فكان عمر أفقه من ابن عبَّاس وموافقيه. قال الإمام الحافظ أبوبكر البيهقي في أواخر كتابه ((دلائل النُّبوَّة)) إنَّما قصد عمر التَّخفيف على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حين غلبه الوجع ولو كان مراده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يكتب ما لا يستغنون عنه لم يتركه لاختلافهم ولا لغيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] كما لم يترك تبليغ غير ذلك لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه، وكما أمر في ذلك الحال بإخراج اليهود من جزيرة العرب وغير ذلك ممَّا ذكره في الحديث، قال البيهقي: وقد حكى سفيان بن عيينة عن أهل العلم قبله أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أراد أن يكتب استخلاف أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٢] ثمَّ ترك ذلك اعتماداً على ما علمه من تقدير الله ذلك ... وإن كان المراد بيان أحكام الدِّين ورفع الخلاف فيها، فقد عَلِم عمر حصول ذلك لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وعلم أنَّه لا تقع واقعةٌ إلى يوم القيامة إلَّا وفِي الكتاب أوِ السنَّة بيانُها نصّاً أو دلالةً ...، ورأى عمر الاقتصار على ما سبق بيانه

---

(١) أي: أراد الرفق برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والتيسير عليه.

(٢) مما يدل على أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أراد كتابة استخلاف أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في مرضه: ((**ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك؛ حتى أكتب كتابا؛ فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر**)) رواه البخاري: ٣/ ١٢٣٨، حديث رقم (٣٢٠٤)، ومسلم: ٤/ ١٨٥٧، حديث رقم (٢٣٨٧).

إيَّاه نصّاً أو دلالة تخفيفاً عليه، ولئلا ينسد باب الاجتهاد على أهل العلم والاستنباط وإلحاقِ الفروع بالأصول ....، وفي تركه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الإنكار على عمر دليلٌ على استصوابه"[١].

ولما أراد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يرسل معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال له: ((**كيف تقضي إذا عرض لك قضاءٌ؟** قال أقضي بكتاب الله. قال: **فإن لم تجد في كتاب الله؟** قال: فبسنَّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ . قَالَ: **فإن لم تجد في سنَّة رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **ولا في كِتَابِ اللهِ؟** قال: أَجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صدره، وقال: **الحمد لله الَّذِي وفَّق رسولَ رسولِ اللهِ لِـمَا يُرْضِي رسولَ اللهِ**))[٢].

ومعنى قوله: (أجتهد رأيي) أي: أبذل كل ما بوسعي وأستفرغ جهدي في طلب الحكم الشرعي، والمراد به رد القضية الشرعية التي تعرض للمجتهد - من طريق القياس - إلى أصل الكتاب والسنة، ولم يرد الرأي الذي يراه من قبل نفسه عن غير حمل على كتاب وسنة، قال الخطابي: "لم يرد به الرَّأي الذي يسْنحُ له من قِبل نفسه، أو يخطر بباله على غير أصلٍ من

(١) ((شرح النووي على مسلم)): ١١/ ٩٠ .

(٢) أخرجه أبو داؤود: ٣/ ٣٠٤، حديث رقم (٣٥٩٣)، والترمذي: ٣/ ٦١٦، حديث رقم (١٣٢٧)، والدارمي: ١/ ٧٢، حديث رقم (١٦٨)، وأحمد: ٥/ ٢٣٦، حديث رقم (٢٢١١٤). والخلاف في ثبوت الحديث مشهور، فمنهم من ضعفه، ومنهم من حسنه، ومنهم من صححه.

كتاب، أو سنَّة، بل أراد ردَّ القضيَّة إلى معنى الكتاب والسنَّة؛ من طريق القياس وفي هذا إثبات للحكم بالقياس"(١).

وقد وقع الاجتهاد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فأقرَّهم على اجتهادهم، ولم يعنِّفهم على نتائجه، فمن أمثلة ذلك: أمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لهم يوم الأحزاب أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة(٢)، فاجتهد بعضهم وصلاها في الطريق، وقالوا: لم يرد منا التأخير، وإنما أراد سرعة النهوض، فنظروا إلى المعنى، فهم سلف أصحاب المعاني والقياس، واجتهد آخرون، وأخروها إلى بني قريظة، فصلوها ليلاً، فنظروا إلى اللفظ، وهؤلاء سلف أهل الظاهر(٣).

وقد كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ‹أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ... الفهم فيما يختلج في صدرك، فما لم يبلغك في القرآن والسنة ، فتعرف الأمثال والأشباه، ثم قس الأمور عند ذلك، واعمد إلى أحبها إلى الله، وأشبهها فيما ترى›(٤).

---

(١) ((معالم السنن)) للخطابي: ٤/ ١٦٥ .

(٢) أخرجه البخاري: ٤/ ١٥١٠، حديث رقم (٣٨٩٣)، ومسلم: ٣/ ١٣٩١، حديث رقم (١٧٧٠).

(٣) ينظر: ((تحفة الأحوذي)): ٤/ ٤٦٦.

(٤) رواه الدارقطني: ٤/ ٢٠٦، حديث رقم (١٥)، والبيهقي في ((سننه الكبرى)): ١٠/ ١١٥، حديث رقم (٢٠٨٤٤).

المطلب الثاني
الأمثلة التطبيقية

ومن أمثلة هذا الفهم الدقيق المستنبط من كتاب الله تعالى، ما روي عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول: "ما لي لا ألعن من لعنه الله في كتابه، يعني: الواشمة والمستوشمة، والواصلة والمستوصلة، وروي أنَّ امرأة قرأت جميع القرآن ثمَّ أتته فقالت: يا ابن أمّ عبدٍ، تلوت البارحة ما بين الدَّفَّتَيْنِ، فلم أجد فيه لَعْنَ الواشمة، والمستوشمة، فقال: لو تلوتيه لوجدتيه، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وإن مما أتانا به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أن قال: ((**لعن الله الواشمة والمستوشمة**))"[١].

وحكي أن الشَّافعي جلس في المسجد الحرام فقال: "لا تسألوني عن شيء إلا أجبتكم فيه من كتاب الله، فقال رجل: ما تقول في المُحرم إذا قَتل الزَّنبور؟، فقال: لا شيء عليه، فقال: أين هذا في كتاب الله؟، فقال: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، ثم ذكر سنداً إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((**عليكم بسنَّتي وسُنَّةِ الخُلفَاءِ الرَّاشدينَ مِنْ بَعْدِي**))[٢] ثم ذكر إسْنَاداً إلى عُمَرَ أنه قال: ((**للمحرمِ**

---

(١) أخرجه البخاري: ١٠/ ٣٩٠، حديث رقم (٥٩٣٩)، ومسلم: ١٤/ ٨٩، حديث رقم (٢١٢٥).

(٢) أخرجه الحاكم: ١/ ١٧٦، حديث رقم (٣٣١)، وابن ماجة: ١/ ١٧، حديث رقم (٤٤)، والدارمي: =

قَتْل الزَّنبور))"[1].

وليس هذا فحسب بل حتى المشاكل التي تعصف بالإنسان والمعضلات التي تنغِّص عليه حياته، والهموم التي تحاصره من كل مكان - فهمه من فهمه وجهله من جهله - كل ذلك علاجه في القرآن الكريم، فهو كالبدر حيثما التفت وجدته أمامك، وكالشمس يشرق نورها فيغشى كل شيء، ومع ذلك هو بحر يهبك كنوزاً نافعة ويرمي إليك جواهراً نادرة:

كالبدر من حيث التفت رأيتَه يُهْدي إلى عينيْك نوراً ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوْؤُها يَغْشى البلادَ مشارقاً ومغاربا
كالبحر يقذفُ للقريب جواهراً جوداً ويبعثُ للبعيد سحائبا[2]

حكى الإمام الرازي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق رحمهما الله أنه قال - كاشفا بعض هذه الكنوز -: "عجبت لمن ابتلى بأربع كيف يغفل عن أربع:

عجبت لمن أُعجب بأمرٍ كيف لا يقول: (ما شاء الله لا قوة إلا بالله). وإنه

= ١/ ٥٨، حديث رقم (٩٥)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)): ١٠/ ١١٤، حديث رقم (٢٠١٢٥). وهو حديث صحيح ليس له علة. ينظر: ((تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج)): ١/ ٦٦ .

(١) رواه البيهقي في ((سننه)): ٥/ ٢١٢، حديث رقم (٩٨٣٧)، وابن حزم في ((المحلى)): ٧/ ٢٤٤.

(٢) هذه الأبيات لأبي الطيب المتنبي في ((ديوانه)): ١/ ٢٥، وانظر: ((الوساطة بين المتنبي وخصومه)) للقاضي الجرجاني: صـ ٢٦٢، و((معترك الأقران)) للسيوطي: ١/ ١٩ .

تعالى يقول: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩]. وعجبت لمن خاف قوماً كيف لا يقول: (حسبي الله ونعم الوكيل) والله تعالى يقول: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤].

وعجبت لمن مُكر به كيف لا يقول: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤] والله تعالى يقول: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥].

وعجبت لمن أصابه همٌّ أو كربٌ كيف لا يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فيقول الله: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٨] أن ينجيه من الغم، ومعلوم بالضرورة أن الله لا يخلف الميعاد"[١].

(١) ((من أسرار التنزيل)) للرازي: ١/ ١٣٦.

المبحث الثالث

نصوص قرآنية تدل[١] على جواز الاحتفال بالمولد النبوي

بما أن مسألة الاحتفال بالمولد النبوي مسألة حادثة؛ لأنها أحدثت بعد الثلاث القرون المفضَّلة، فيكون الحكم عليها من خلال ردها لقواعد الشرع، فإن وافقت قواعد الشرع فهي بدعة حسنة، وإلا فبدعة ضلالة، قال الإمام اللكنوي: "وأما الحادث بعد الأزمنة الثلاثة فيعرض على أدلة الشرع، فإن وجد نظيره في العهود الثلاثة أو دخل في قاعدة من قواعد الشرع، لم يكن بدعة؛ لأنها عبارة عما لا يوجد في القرون الثلاثة وليس له أصل من أصول الشرع، وإن أطلقت عليه (البدعة) قيدته بـ(الحسنة). وإن لم يوجد له أصل من أصول الشرع صار بدعة ضلالة وإن ارتكبه من يُعدُّ من

---

(١) يدل دلالة، والدلالة هي كون الشي بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر. ويقاربها الاستنباط وهو ربط كلام له معنى بمدلول الآية بأي نوع من أنواع الربط كأن يكون بدلالة إشارة أو دلالة مفهوم أو غيرها. ينظر: ((منهج الاستنباط من القرآن الكريم)) لفهد الوهبي: صـ ٢٨٨، و((مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر)) د. مساعد الطيار: صـ ١٦٠ .

أرباب الفضيلة، أو من يشتهر بالمشيخة، فإن أفعال العلماء والعباد ليست بحجة ما لم تكن مطابقة للشرع"(١).

وتقدم أن قلنا: إنه ما من حادثة إلا وفي كتاب الله بيان حكمها، لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، ولذلك أثنى الله على العلماء الأفذاذ المؤهلين للنظر في القرآن الكريم واستنباط الأحكام والمعاني، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، قال الإمام الألوسي: "فإن العلماء هم المستنبطون المستخرجون للأحكام"(٢). وقال الإمام ابن القيم: "وقد مدح الله تعالى أهل الاستنباط في كتابه وأخبر أنهم أهل العلم ومعلوم أنَّ الاستنباط إنَّما هو استنبَاط المعاني والعلل ونسبة بعضها إلى بعض، فيُعتبر ما يصحُّ منها بصحَّة مثله ومشبِهه ونظيره، ويلغى ما لا يصحُّ، هذا الذي يعقله النَّاس من الاستنباط"(٣).

وإن من أجلِّ نعم الله تعالى أن يخص بعض عباده بفهم خاص لكتابه العظيم، فقد سأل أبو جحيفة سيدنا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "هل عندكم شيءٌ من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا والذي

(١) «إقامة الحجة على أن الإكثار من التعبد ليس ببدعة» لأبي الحسنات اللكنوي: صـ ٥٦ .

(٢) «روح المعاني» للآلوسي: ٥/ ٦٦ .

(٣) «إعلام الموقعين» لابن القيم: ١/ ١٧٢ .

فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، فقال أبو جحيفة: وما في هذه الصحيفة؟ فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العقل وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر"[١].

فقد عد سيدنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن من الدين فهم العلماء لنصوص الشريعة، وأن أهل الفهم الصحيح يتميزون على غيرهم ممن لا يستطيع الغوص في معانيها، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "إن أعطى الله رجلاً فهماً في كتابه فهو يقدر على الاستنباط فتحصل عنده الزِّيادة بذلك الاعتبار"[٢]، وقال أيضاً: "والمراد ما يفهم من فحوى لفظ القرآن ويُستدلُّ به من باطن معانِيه"[٣].

فمن تأمل القرآن الكريم وتدبَّره فاضت عليه معانيه وأسراره، قال الشيخ ابن عاشور: "وإنَّك لتمرُّ بالآية الواحدة فتتأمَّلها وتتدبَّرها فتنهال عليك معانٍ كثيرةٌ يسمح بها التَّركيب على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي، وقد تتكاثر عليك فلا تك - من كثرتها - في حصرٍ ولا تجعل الحمل على بعضها منافياً للحمل على البعض الآخر إن كان التَّركيب سمحاً بذلك"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري: ٦/ ٣٤، حديث رقم (٦٥١٧).

(٢) ((فتح الباري)): ١/ ٢٠٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٢/ ٢٤٦.

(٤) ((التحرير والتنوير)): ١/ ٩٧.

وقد استنبط العلماء فهوماً بديعة من كتاب الله تعالى لم يهتد لها أحد قبلهم، وممن تميَّز بذلك الإمام الشافعي، فمن استنباطاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

أ) استنباطه حجية الاجماع[١] بدليل قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا** ﴾ [النساء: ١١٥]. قال الحافظ ابن كثير: "والذي عوَّل عليه الشَّافعي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في الاحتجاج على كون الإجماع حجَّةً تَحرم مخالفته هذه الآية الكريمة، بعد التَّروِّي والفكر الطَّويلِ[٢]، وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها، وإن كان بعضهم قد استشْكل ذلك واستبعدَ

(١) ((أحكام القرآن)) للشافعي: ١/ ٣٩-٤٠، وينظر: ((تفسير الرازي)): ١١/ ٤٣، و((الكشاف)) للزمخشري: ٢/ ١٤٩، و((البرهان في علوم القرآن)): ٢/ ٤، و((الإكليل في أسرار التنزيل)): ٢/ ٥٨٩.

(٢) قال المْزنيِ والرَّبيع: "كنا يوما عند الشافعي، إذ جاء شيخ، فقال له: أسأل؟ قال الشافعي: سل. قال: أيش الحجة في دين الله؟ فقال الشافعي: كتاب الله قال: وماذا؟ قال: سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ. قال: وماذا؟ قال: اتفاق الأمة. قال: ومن أين قلت اتفاق الأمة، من كتاب الله؟ فتدبر الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ساعة. فقال الشيخ: أجلتك ثلاثة أيام. فتغير لون الشافعي ثم إنه ذهب فلم يخرج أياما. قال: فخرج من البيت في اليوم الثالث، فلم يكن بأسرع أن جاء الشيخ فسلم فجلس، فقال: حاجتي؟ فقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله ﷻ: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا** ﴾. لا يصليه جهنم على خلاف سبيل المؤمنين، إلا وهو فرض. قال: فقال: صدقت. وقام وذهب.

قال الشافعي: قرأت القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات، حتى وقفت عليه. ((أحكام القرآن)): للشافعي: ١/ ٢٩.

الدِّلالة منها على ذلك"[١].

ب) استنباطه رَحِمَهُ ٱللَّهُ صحة صوم من أصبح جنباً[٢] بدليل قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

قال الكيا الهراسي: "فإباحة المباشرة إلى الصبح تقتضي وقوع الغسل بعد الصبح، وهذا لم يفهمه غيره، وهو في القرآن تحقيقاً"[٣].

ومن خلال البحث والنظر في نصوص القرآن الكريم، ومراجعة فهوم العلماء وما فتح الله عليهم بالقرآن الكريم، عثرنا على بعض النصوص التي تدلِّل على جواز الاحتفال بالمولد النبوي وكونه (بدعة حسنة)، وهذه النصوص على النحو الآتي:

---

(١) ((تفسير ابن كثير)): ٢/ ٤١٢.

(٢) ينظر: ((تفسير الرازي)): ٥/ ١١٩، و((أحكام القرآن)) للكيا الهراسي)): ٢/ ٤٦٧ .

(٣) ((أحكام القرآن)) للكيا الهراسي: ٢/ ٤٦٧ .

المطلب الأول

قوله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

من المعلوم أن أفضل طريقة لتفسير القرآن الكريم هي تفسير القرآن بالقرآن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟

فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر، فإن أعْياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]"(١).

فتفسير الرحمة في الآية المتقدمة هو رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ

---

(١) ((مقدمة في أصول التفسير)) لابن تيمية: صـ ٣٦.

بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، قال السيوطي في تفسيره للآية المتقدمة: وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا في الآية قال: فضل الله العلم ورحمته محمد ﷺ قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]"[١].

وعن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((**يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة**))[٢]، وهذا من تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية وهي المرتبة الثانية بعد تفسير القرآن بالقرآن.

ويتبين لنا مما تقدم أن الفرح بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أمر إلهي، والاحتفال بالمولد النبوي إنما هو مظهر من مظاهر هذا الفرح والسرور، فهو جائز وإن لم يفعله السلف، وبهذا استدل العلماء بجواز الاحتفال بيوم مولده عليه الصلاة والسلام، وممن قال بذلك:

١. الإمام أبو شامة شيخ الإمام النووي، حيث قال: "ومن أحسن ما ابتُدع في زماننا من هذا القَبِيل ما كان يُفعل بمدينة اربل جبَرها الله تعالى كل عام في اليوم الموافق ليوم مولد النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من الصَّدقات

---

(١) ((الدر المنثور في التفسير بالمأثور)) للسيوطي: ٤/ ٣٦٧.

(٢) أخرجه الدارمي: ١/ ٢٢، حديث رقم (١٥)، والحاكم في ((المستدرك)): ١/ ٩١، حديث رقم (١٠٠). قال المناوي في ((فيض القدير)): ٢/ ٥٧٢: "الحديث مرفوع وأخرجه الحاكم في ((المستدرك))، وقال صحيح، وأقره الذهبي".

والمعْروف وإظهار الزِّينة والسُّرور فإنَّ ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مشعر بمحبة النَّبِي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وتعظيمه وجلالته في قلب فاعله وشكراً لله تعالى على ما منَّ به من إيجاد رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ"(١).

٢. وقد سئل الإمام المحقق أبو زرعة العراقي عن عمل المولد: هل هو مستحب أو مكروه؟ وهل ورد فيه شيء؟ وهل نقل فعله عمن يقتدى به؟ فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "بأن اتخاذ الوليمة وإطعام الطعام مستحب في كل وقت، فكيف إذا انضم إلى ذلك الفرح والسرور بظهور نور النبوة في هذا الشهر الشريف؟! ولا نعلم غير ذلك عن السلف، ولا يلزم من كونه بدعة كونه مكروها، فكم من بدعة مستحبة، بل واجبة"(٢).

٣. وقال الحافظ ابن الجزري: "ولو لم يكن في ذلك إلا إرغام الشيطان وسرور أهل الإيمان من المسلمين .. لكفى"(٣).

٤. وقال الحافظ ابن حجر الهيتمي: "اعلم أنه لم ينقل عن أحد من السلف من القرون الثلاثة التي شهد النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بخيريتها، لكنها بدعة حسنة؛ لما اشتملت عليه من الإحسان الكثير للفقراء، ومن

---

(١) ((الباعث على إنكار البدع والحوادث)) لأبي شامة المقدسي: صـ ٢٣ .

(٢) انظر: ((جواهر البحار)) للنبهاني: ٣/ ٣٩١ .

(٣) ((التعريف بالمولد الشريف)) (مخطوط) لابن الجزري: صـ ١٠٤ .

قراءة القرآن، وإكثار الذكر، والصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وإظهار السرور بمولده والفرح به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وإغاضة أهل الزيغ والعناد من الزنادقة والملحدين والكفرة والمشركين"[١].

٥. وليس هذا فحسب بل ذكر البخاري في ((صحيحه)) قصة عتق أبي لهب لجاريته ثويبة لما أخبرته بولادة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأن العباس بن عبد المطلب رأى أبا لهب في النوم بعد وفاته، فسأله عن حاله، فقال: "لم ألق خيراً بعدكم، غير أني سقيت بعتاقتي ثويبة، وإنه ليخفف عليَّ في كل يوم اثنين"[٢].

قال الحافظ ابن الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إذا كان أبو لهب يخفف عنه العذاب يوم الاثنين بفرحه بمولد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وعتقه جاريته التي بشرته بالنبي يوم ولد، فما حال المسلم الذي يُسرُّ بمولده، ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته، لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم، أن يدخله بفضله جنات النعيم"[٣].

وما أحسن ما قاله الحافظ شمس الدين بن ناصر الدمشقي في ذلك:

إذا كان هــذا كافرٌ جــاء ذمُّه ... وتبَّت يــداه في الجحيم مخلَّدا

---

(١) ((إتمام النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد آدم)) لابن حجر الهيتمي: صـ ٢١، ٢٢.

(٢) أخرجه البخاري: ٥/ ١٩٦١، حديث رقم (٤٨١٣)، ومسلم: ٢/ ١٠٧٣، حديث رقم (١٤٤٩).

(٣) ((عرف التعريف)): صـ ٢٢.

أتـى أنَّه في يـوم الاثنين دائما يخفَّـفُ عنه للـسُّرورِ بأحمَدا
فما الظنُّ بالعبد الذي طولَ عمرِه بأحمَدَ مسروراً وماتَ موحِّدا[1]

٦. وأخيراً وليس آخراً إن قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فحسب، دليل على جواز الاحتفال بالمولد النبوي، كيف ذلك؟

ذكر السيد العلامة محمد علوي المالكي في آخر كتابه ((الصارم المبيد)) نقلاً عن بعض علماء الأحناف: "أن الاحتفال بالمولد مستحب؛ لأن الله تعالى يقول لنبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ والرحمة هي من أعظم النعم.

وقد ورد الأمر بالتحدث بالنعم الفائضة عليه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بالبيانات التفصيلية؛ بحيث يظهر أنه نعمة عظمى فائقة على نعم العالمين.

كما يجب علينا التحدث بالنعم الفائضة علينا بواسطته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وحيث علم ذلك كان الواجب على الواعظ التالي لقصة مولده صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، الذي هو سبب وصول النعمة العظمى إلينا: أن يبيِّن أولاً الفضائل المذكورة تفصيلاً، بحيث يجعلها توطئة لولادة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، ووصوله إلينا، ثم يبيِّن تفصيلاً فضائل الولادة

---

(١) ((مورد الصادي بمولد الهادي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ)) لشمس الدين الدمشقي: صـ ٥٤ – ٥٥. وينظر: ((حسن المقصد في عمل المولد)) للسيوطي: صـ ٥١ – ٥٢ .

والوصول إلينا"(١).

ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ رحمة لنا في الدين والدنيا، قال الإمام الرازي – عند تفسيره لهذه الآية وذكر مسائلها –: المسألة الأولى: أنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان رحمة في الدين وفي الدنيا، أما في الدين فلأنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعث والناس في جاهلية وضلالة، وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم؛ فبعث الله تعالى محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب، فدعاهم إلى الحق وبين لهم سبيل الثواب، وشرع لهم الأحكام وميَّز الحلال من الحرام، ثم إنما ينتفع بهذه الرحمة من كانت همته طلب الحق فلا يركن إلى التقليد ولا إلى العناد والاستكبار ....، وأما في الدنيا فلأنهم تخلصوا بسببه من كثير من الذل والقتال والحروب ونصروا ببركة دينه"(٢).

ولله در الإمام البوصيري حين قال:

رحمــةٌ كلُّــه وحــزمٌ وعــزمٌ   ووقــارٌ وعصمــةٌ وحيــاءُ
ما سِــوى خُلقه النّسيمُ ولا غيـ   ـــرُ محيّاه الرّوضــةُ الغنّــاء(٣)

* * *

(١) ((الصارم المبيد)) للمالكي: صـ ٢٣ بتصرف.

(٢) ((تفسير الرازي)): ٢٢/ ١٩٣.

(٣) ((ديوان البوصيري)): صـ ٥٧ .

المطلب الثاني

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[هود: ١٢٠]

فقد دلت هذه الآية بمنطوقها على أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يُتثبَّت فؤادُه ويطمئن قلبُه بسماع قصص وأخبار إخوانه السابقين من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾، يا محمد = ﴿مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾، الذين كانوا قبلك = ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾، فلا تجزع من تكذيب من كذبك من قومك، وردَّ عليك ما جئتهم به، ولا يضق صدرك، فتترك بعض ما أنزلتُ إليك من أجل أن قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ [هود: ١٢]؟ إذا علمت ما لقي من قبلك من رسلي من أممها"[١].

كما دلت الآية بمفهوم الموافقة أو ما يسمى عند الأصوليين (القياس الأولى) وهو إعطاء ما ثبت للفظ من الحكم المنطوق به للمسكوت عنه بطريق الأولى سواء كان الحكم المنطوق به منفيا أم مثبتا[٢].

---

(١) ((تفسير الطبري)): ١٥/ ٥٣٩.

(٢) ينظر: ((الإحكام في أصول الأحكام)) للآمدي: ٢/ ٢٥٧، و((البحر المحيط)) للزركشي: ١/ ٢٣، و((حاشية شيخ الإسلام زكريا الأنصاري على شرح الإمام المحلي على جمع الجوامع)): ١/ ٤٨٨ - ٤٨٩، و((نشر الورود على مراقي السعود)) للشنقيطي: ١/ ١٠٣.

فإذا كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مع علو شأنه يتثبت فؤاده بسماع قصص إخوانه من الأنبياء والمرسلين، فنحن المسلمين – من باب أولى – محتاجون لتثبيت أفئدتنا بأن يُقصَّ علينا نبأ نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كما لا يخفى[١].

كيف لا تتثبت أفئدتنا بسماع سيرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهو سيد الأنبياء، وهو خير البشر كلهم وصفوتهم.

فمبلـغُ العلـمِ فيـه أنَّـه بشرٌ ... وأنَّه خـيرُ خلـقِ الله كلهم[٢]

والقياس أحد طرق استنباط الأحكام في المسائل التي لم يرد فيها نص (قرآن أو سنة)، وقد عدَّه الأصوليون فرض كفاية عند تعدد المجتهدين وفرض عين إن لم يوجد إلا واحد، واستدلوا على فرضيته بقوله تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [الحشر: ٢]؛ لأن فيه معنى اعتبار النظير بنظيره، قال الشيخ الشنقيطي في منظومته ((مراقي السعود)):

وهـو مفـروضٌ إذا لم يكـنِ ... للحكمِ مـن نصٍّ عليه ينبَني[٣]

والاحتجاج بطريق (قياس الأولى) من أقوى الأدلة، وتركُه يُعدُّ مباعدةً

---

(١) ينظر: ((الإعلام بفتاوى أئمة الإسلام حول مولده عليه الصلاة والسلام)) لمحمد بن علوي المالكي: صـ ١١٧.

(٢) ((ديوان البوصيري)): ١/ ٣٣.

(٣) ((نثر الورود على مراقي السعود)) للشيخ الشنقيطي: صـ ٥٥٧.

لمنهج القرآن والسنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن لم يلْحظ المعاني من خطاب الله ورسوله ولا يَفهم تنبيه الخطاب وفحواه من أَهل الظَّاهر؛ كالَّذين يقولون: إنَّ قوله: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ لا يفيد النهي عن الضَّرب، وهو إحدى الروايتين عن دَاود؛ واختاره ابن حزم وهذا فِي غاية الضَّعف بل وكذلك قياس الأولى وإن لم يَدلَّ عليه الخطاب لكن عُرِف أنَّه أَولى بالحكم من المنطوق بهذا فإنكارُه من بِدع الظَّاهريّة التي لم يسْبقهم بها أحدٌ من السَّلف فما زال السَّلف يحتجُّون بمثل هذا وهذا"(١).

وممن استدل بجواز الاحتفال بالمولد النبوي بطريق قياس الأولى: حافظ العصر ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال الحافظ السخاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ - على سبيل الإضراب -: "بل خرَّج شيخ مشايخ الإسلام، خاتمة الأئمة الأعلام العلامة أبو الفضل ابن حجر، الأستاذ المعتبر ،تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنَّته، فعلَه على أصل ثابت إمام، يميل إلى الاستناد إليه كل حَبْرٍ هُمام، وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قدم المدينة فوَجد اليهود صياماً يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ما هذا اليوم الذى تصومونه؟** فقالوا هذا يومٌ عظيمٌ أنجى الله فيه موسى وقومه وغرَّق فرعون وقومه فصامه موسى شكراً فنحن نصومه. فقال رسول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **فنحنُ أحقُّ وأولى**

---

(١) «مجموع الفتاوى»: ٢١/ ٢٠٧ .

بِموسى منكم. فصامه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأمر بصيامه"(١).

قال - أي: الشيخ ابن حجر -: "فيستفاد منه فعل الشكر لله تعالى على ما مَنَّ به في يوم معيَّن من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر لله تعالى يحصل بأنواع العبادة؛ كالصلاة والصيام والتلاوة، وأي نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبي؛ نبي الرحمة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ؟!"(٢).

وقد نقل الحافظ السيوطي نفس كلام الحافظ ابن حجر، وزاد فيه قليلا حيث قال: "وقد سئل شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر عن عمل المولد، فأجاب بما نصه: (أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرَّى في عملها المحاسن وتجنب ضدَّها .. كانت بدعة حسنة، وإلا .. فلا.

وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء ..."(٣).

---

(١) أخرجه البخاري: ٤/ ٢١٤، حديث رقم (١١٣٠)، ومسلم: ٢/ ٧٩٢، حديث رقم (١١٢٥).

(٢) ((التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة)): ١/ ١٥٠، و((الأجوبة المرضية)): ٣/ ١١١٧.

(٣) ((الحاوي للفتاوي)) للسيوطي: ١/ ١٩٦.

واستدلال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بطريق (قياس الأولى) وهو الذي أخذنا به من خلال الآية السابقة، فإذا كانت نجاة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تستحق في مناسبتها السنوية شكرنا لله عَزَّوَجَلَّ فنجاة نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يوم هجرته مثلاً أولى؛ لأن النعمة فيها أعظم، وكلما كانت النعمة أعظم كان شكرها أحق، ولذا قال الحافظ عن يوم المولد النبوي: "وأي نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبي نبي الرحمة صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ"[١] فرسالته رحمة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ فليتأمل وذاته رحمة، كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: ((**إنما أنا رحمة مهداة**))[٢]، بل وجوده رحمة حتى للكفار الذين تحدوه وآذوه، فوجوده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حصناً لهم من العذاب، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فهل توجد نعمة أعظم من هذه النعمة؟! فليتأمل. ولله در القائل:

يا ساعةً نلنا السعادةَ والهَنا ... فيها بخيرِ العالمينَ محمدِ

تمَّت لنا أفراحُها بظهورِه ... وتكمَّلت في شهر مولد أحمدِ[٣]

أضف إلى ذلك أن الحافظ ابن حجر لم يقيد الشكر بالصوم فحسب، وإن كان هو المذكور في هذا الحديث، وفي حديث صوم كل يوم اثنين، وهو الصوم؛

(١) ((الحاوي للفتاوي)) للسيوطي: ١/ ١٩٦.

(٢) تقدم تخريجه: صـ ٤١.

(٣) ((سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد)) لمحمد بن يوسف الشامي: ١/ ٣٢٤.

وذلك لأن حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما قال في ((فتح الباري)): "يدل على أن الباعث على صيامه موافقتهم على السبب، وهو شكر الله تعالى على نجاة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ"[١]. وعلماء الأصول يقولون: "إذا نصَّ الشارع على حكم، ونص على علته - أي: على السبب المقصود من مشروعيته - فكل عمل يحصل به ذلك المقصود، فهو مراد لله بنص الشرع، جاء في مسودة آل تيمية: (الحكم المتعدي إلى الفرع بعلة منصوص عليها مراد بالنص)"[٢].

وبالتالي يتبين لنا أن (كل ما يحصل به الشكر مشروع بدلالة الحديث كأنه مذكور في الحديث نصا)[٣][٤].

ولهذه الذكرى الجليلة والنعمة العظيمة يجلس المسلمون يذكرون الله تعالى ويصلون على نبيهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ويقرأون شيء من سيرته، ويشكرون الله تعالى على نعمة إرسال هذا النبي الكريم، فلا شك أنه من

---

(١) ((فتح الباري)): ٤/ ٢٤٨ .

(٢) ((المسودة في أصول الفقه)) لابن تيمية: ١/ ٣٨٥.

(٣) ((البيان النبوي عن فضل الاحتفال بمولد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ)) للدكتور محمود أحمد الزين: صـ ٥٠ .

(٤) وقد فطن لهذا المعنى قبل الحافظ ابن حجر الحافظ ابن رجب في كتابه ((لطائف المعارف)): صـ ٩٦. وسيأتي الكلام عنه في هذا البحث، وإن كان قول الحافظ ابن حجر اشتهر أكثر؛ لشهرته في علمه وكتبه: أما علمه فقد لقب بأمير المؤمنين في علم الحديث، وهي أعلى درجة في علم الحديث. وأما كتبه فحسبك كتاب ((فتح الباري)) الذي قيل عنه: لا هجرة بعد الفتح. ينظر: ((تذكرة الحفاظ)) للذهبي: ١/ ٤، و((كيف نتعامل مع السنة النبوية)) للقرضاوي: صـ ٣٣ .

الأعمال الفاضلة، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأي شيءٍ أحسن من أن يجتمع الناس يصلون ويذكرون ما أنعم الله به عليهم"(١).

ومما نحب أن ننبه له هنا هو أن أسلوب القصص من أهم الأساليب التربوية الهامة والمؤثرة، قال الإمام أبو حنيفة: "الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبُّ إلي من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم"(٢). وجاء في مقدمة كتاب ((اللُّقط في حكايات الصالحين)): "عن مالك بن دينار قال: الحكايات تُحف الجنة. وقال الجنيد: الحكايات جند من جنود الله عَزَّوَجَلَّ، يقوِّي بها إيمان المريدين، فقيل له: هل لهذا من شاهد؟ قال: قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾، استكثروا من الحكايات فإنها درر، وربما كانت فيها الدرة اليتيمة"(٣).

فإذا كانت قصص العلماء والصالحين ترفع الهمم وتشد العزائم، وتقوِّم الأخلاق فكيف بقصة سيِّد العلماء وأصلح الصالحين وحبيب رب العالمين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وإذا كانت قصص العظماء تسمو بالمقاصد وتبرز النبوغ وتفجر الطاقات المدفونة، فكيف بقصة **أعظم عظماء العالم**(٤)؟!

(١) ((اقتضاء الصراط المستقيم)) لابن تيمية: صـ ٣٠٤ .

(٢) ينظر: ((جامع بيان العلم وفضله)) لابن عبدالبر: ١/ ١١٧، و((ترتيب المدارك)) للقاضي عياض: ١/ ٢٣، و((الإعلان بالتوبيخ)) للسخاوي: صـ ٢٠.

(٣) ((اللقط في حكايات الصالحين)) لابن الجوزي (مخطوط): صـ ٢ .

(٤) كتب مايكل هارت كتاب بعنوان: (العظماء مائة أولهم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ) ترجمه الشيخ أحمد =

أفلا تحقق ذلك؟ اللهم بلى، بل وأكثر من ذلك. كيف لا، وهو حبيب الله ومصطفاه. ولله در الشاعر الإمام الصرصري حيث يقول في مدح المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

أمَا جمعَ الله المحاسنَ كلَّها لهُ وبه سادَ الورى منْ له صَحبْ؟
أليس حبيبَ الله وهو خليلهُ وكلَّمه تكليمَ منْ عنهُ ما احْتجَبْ؟
أمَا كان أعلَى الناس قدراً ومنصباً وأشرفُهم أصلاً إذا ذُكر النَّسبْ؟
أمَا كان أبْهى العَالمين وأجملَ الـ ـبريِّة قدًّا ماشياً وإذا ركبْ؟
أمَا اللهُ أعطاه الجوامعَ كلَّها وأدَّبه - سبحانه - أحسنَ الأدبْ؟[1]

مع العلم أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ربما يجلس بعضهم ويذكِّر إخوانه بقصة المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ويتدارسون حياته وغزواته وأخلاقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وما قيل فيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من أشعار، والدليل على ذلك ما رواه البخاري في ((صحيحه)) حيث قال:

"حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث عن يونس، عن ابن شهاب، أخبرني الهيثم بن أبي سنان أنه سمع أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو يقصُص في قصصِه وهو يذكر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إن أخاً لكم لا يقول

= ديدات في كتابه: ((محمد أعظم عظماء العالم)).

(١) ((النظم المختار من مدائح المختار)) للصرصري: صـ ٦٠ .

الرفث يعني بذلك عبد الله بن رواحة.

وفينـا رسـولُ الله يتلـو كتابَه إذا انشق معروفٌ من الفجر ساطعُ

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبُنا به موقنـاتٌ أنَّ ما قـال واقعُ

يبيـتُ يجافي جنبَه عن فراشـه إذا استثْقلَت بالمشركين المضاجعُ"[1]

وعن زين العابدين الإمام علي بن الحسين بن أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: "كنا نعلّم مغازي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما نعلّم السّورة من القرآن. ورويا عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص الزّهري المدنيّ قال: كان أبي يعلّمنا مغازي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ويعدّها علينا وسراياه، ويقول: يا بني هذه شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها. ورويا أيضاً عن الزهري قال: في علم المغازي خير الدنيا والآخرة[2].

فما أجمل أن يجلس أحدنا مع أهله وأولاده في شهر مولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ويتدارس معهم سيرة المصفى وأخلاقه وشيمه، فتنغرس في قلوب أولادك محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قال ابن الرصَّاع: "من آداب المحب لهذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أن يكون معظماً لليلة ميلاده، ولليوم الذي أظهره الله فيه، فينبغي لكل محبٍّ أن يظهر السرور والبشارة في تلك الليلة وصبيحتها، ويذكر لهم صفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه البخاري: ٢/ ٦٩ ؛ حديث رقم (١١٥٥).

(٢) ((سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد)) لمحمد بن يوسف الشامي: ٤/ ١٠.

وجماله وكماله .... .

وهذا عندي وعند كل محب من أحسن الرأي والنظر؛ لأن التعليم في الصغر كالنقش في الحجر، ويذكر العامة بمحامد صفاته ومعجزاته، ويسرد لهم ما أكرمه به مولاه وخصه من آياته"[١].

❊ ❊ ❊

المطلب الثالث

قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]

إن المقصود من هذه الأيام: إما الأيام التي وقع فيها أمر خارق للبشر سواء أكان نعمةً أم نقمةً، قال السيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وكل الأيام أيام الله، ولكن المقصود هنا أن يذكرهم بالأيام التي يبدو فيها للبشر أو لجماعة منهم أمر بارز أو خارق بالنعمة أو بالنقمة كما سيجيء في حكاية تذكير موسى لقومه. وقد ذكرهم بأيام لهم، وأيام لأقوام نوح وعاد وثمود والذين من

(١) ((الإعلام بفتاوى أئمة الإسلام حول مولده عليه الصلاة والسلام)) لمحمد بن علوي المالكي: صـ ٢٨٥.

بعدهم. فهذه هي الأيام"[١]. وهذه الآية وإن نزلت في بني إسرائيل فحكمها عام والقاعدة الأصولية تقول: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)[٢]، ولأن الغرض هو الادِّكار والاعتبار وهو عام لكل الناس.

ولا شك أن يوم المولد النبوي من أيام النعم التي منَّ الله بها على عباده، وهي بروز هذا النبي الكريم الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، يقول ايلز - وهو مستشرق مؤرخ - : لم يشهد العالم في تاريخه فترة أظلم ولا أسوأ ولا أكثر يأسا في المستقبل من القرن السادس الميلادي" ثم يصف العالم آنذاك فيقول: (إن العالم أصابه الشلل الكامل .. وإن أوروبا تشبه جثة رجل ضخم مات والجثة تعفنت) ويختم كلامه فيقول: (حتى ظهر محمد نبي المسلمين عليه الصلاة والسلام)"[٣]. كيف لا وهو الذي استطاع أن يحول العرب من الهمجية والعصبية إلى القيادة والإدارة حتى استضاء العالم بعقولهم وحكموه بقلوبهم، يقول (تولستوى): "يكفي محمداً فخراً أنه خلَّص أمة ذليلة دموية من مخالب شياطين العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريق الرقي والتقدم، وأن شريعة محمد ستسود العالم لانسجامها

---

(١) ((في ظلال القرآن)): ٤/ ٣٠٨٧.

(٢) ينظر: ((البرهان في علوم القرآن)) للزركشي: ٣/ ١٩، و((الإتقان في علوم القرآن)) للسيوطي: ١/ ١١، و((المحصول في علم الأصول)) للرازي: ٣/ ١٢٥، و((البحر المحيط في أصول الفقه)) للزركشي: ٤/ ٢٦٩.

(٣) ((محمد أعظم عظماء العالم)) لأحمد ديدات ومايكل هارت: صـ ٣٠.

مع العقل والحكمة"[١].

فما من نعمة ظهرت لهذه الأمة ديناً أو دنياً إلا بسببه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ، فهو صاحب اليد الطولى، قال الإمام الشافعي: "وجزاه الله عنا أفضل ما جزى مرسلاً عن من أُرسل إليه؛ فإنه أنقذنا به من الهلكة، وجعلنا في خير أمة أخرجت للناس، دائنين بدينه الذي ارتضى، واصطفى به ملائكته ومن أنعم عليه من خلقه. فلم تُمس بنا نعمة ظهرت ولا بَطَنَت، نلنا بها حظاً في دين ودنيا أو دُفِعَ بها عنا مكروه فيهما، وفي واحد منهما: إلا ومحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِوَسَلَّمَ سببها، القائدُ إلى خيرها ،والهادي إلى رشدها، الذائدُ عن الهلكة وموارد السَّوء في خلاف الرشد، المنبِّهُ للأسباب التي تورد الهلكة، القائمُ بالنصيحة في الإرشاد والإنذار فيها. فصلى الله على محمد وعلى آل محمد كما صلى على إبراهيم وآل إبراهيم إنه حميد مجيد"[٢].

وواجب المسلم تجاه هذه النعم العظيمة مقابلة هذه النعم بالشكر الجزيل والمحافظة عليها ،حينها يسدل الله تعالى نعمه ويفيض منها على عباده؛ ولذلك ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، فالبلاء والنقم تقابل بالصبر عليها، والنعم والمنن تقابل بالشكر لها، قال ابن عاشور: "ولكون الآيات مختلفة، بعضها آيات موعظة وزجر

---

(١) ((موسوعة تراجم لأشهر ألأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين)): صـ ١٤٦ - ١٤٧.

(٢) ((الرسالة)) للشافعي: صـ ١٣.

وبعضها آيات منَّة وترغيب، جعلت متعلقة بـ ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ إذ الصبر مناسب للزجر لأن التخويف يبعث النفس على تحمل معاكسة هواها خيفة الوقوع في سوء العاقبة، والإنعام يبعث النفس على الشكر، فكان ذكر الصفتين توزيعاً لما أجمله ذكر أيام الله من أيام بؤس وأيام نعيم"[١].

والاحتفال بالمولد النبوي مظهر من مظاهر شكر نعمة بروز المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لهذا العالم، وقد فطن لهذا المعنى البديع الحافظ ابن رجب، حيث قال - أثناء تعليقه على حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: حينما سئل عن صيام يوم الاثنين، فقال: ((**ذاك يوم ولدت فيه**))[٢] -: "إشارة إلى استحباب صيام الأيام التي تتجدد فيها نعم الله على عباده، فإن أعظم نعم الله على هذه الأمة إظهار محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لهم وبعثته وإرساله إليهم ... فصيام يوم تجدَّدت فيه هذه النعم من الله على عباده المؤمنين حسن جميل، وهو من باب مقابلة النعم في أوقات تجددها بالشكر، ونظير هذا صيام يوم عاشوراء حيث أنجى الله فيه نوحاً من الغرق ونجى فيه موسى وقومه من فرعون وجنوده وأغرقهم في اليمِّ فصامه نوح وموسى شكراً لله فصامه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ متابعة لأنبياء الله وقال لليهود: ((**نحن أحق بموسى منكم**)) وصامه وأمر بصيامه"[٣].

---

(١) ((التحرير والتنوير)): ١٣/ ١٨٣.

(٢) أخرجه مسلم: ٢/ ٨٢٠، حديث رقم (١١٦٢).

(٣) ((لطائف المعارف)) لابن رجب: صـ ٩٦.

وبهذا حكم الحافظ ابن حجر بجواز الاحتفال بالمولد النبوي بعمل المولد وإظهار الفرح والسرور بناء على قاعدة الشكر بدليل قياس الأولى كما تقدم، حيث قال: "فيستفاد منه فعل الشكر لله تعالى على ما مَنَّ به في يوم معيَّن من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر لله تعالى يحصل بأنواع العبادة؛ كالصلاة والصيام والتلاوة، وأي نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبي؛ نبي الرحمة صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؟!"(١).

وإذا كان هذان العالمان الجليلان قد استنبطا هذا الفهم البديع من النظر في نصوص السنة النبوية، فإن هذا المعنى بنفسه قد أشار إليه القرآن الكريم من خلال خاتمة هذه الآية ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، فسبحان من وصف كتابه بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، فحريٌ بنا نحن المسلمين أن نتدبر كتاب الله ونغوص في أعماقه كي نستخرج الجواهر والدرر المستقرة في قيعانه. ولله در القائل:

وسِعتُ كِتابَ اللهِ لَفظاً وغايةً ... وما ضِقْتُ عن آيٍ به وعِظاتِ
فكيف أَضِيقُ اليومَ عن وَصفِ آلةٍ ... وتَنْسِيقِ أسماءٍ لُمخْتَرَعاتِ
أنا البحرُ في أحشائهِ الدر كامنٌ ... فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي(٢)

يضاف إلى ما تقدم أنه يمكن أن يستدل بهذه الآية بدلالة التضمن – وهي

(١) ((التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة)): ١/ ١٥٠، و((الأجوبة المرضية)): ٣/ ١١١٧.

(٢) ((جواهر الأدب)) لأحمد الهاشمي: ١/ ٤٧٨.

استعمال اللفظ في جزء معناه[١] -، إذ يوم المولد النبوي هو جزء من أيام الله وأحدها، بل هو أشرفها ،فالاحتفال به من باب التذكير بأيام الله، قال الشيخ عبدالفتاح علي شهاب: "نحن المسلمين نحتفل بذكرى ميلاد حبيبنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ اقتداء بسلفنا الصالح؛ رجاء أن يكون وفاء بعُشر معشار حق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ علينا؛ كتلك الأحفال التي تقام في ليلة القدر إيقاظاً ودعوة للعمل، والتمسك بما أنزل فيها من القرآن الكريم، كما نحتفل بهجرته؛ تذكيراً بالطاعة المطلقة والتضحية الفائقة اللتين قام عليهما الإسلام، ونحتفل بذكرى غزواته وانتصاراته على البغي والعدوان التي سجلها القرآن الكريم ودعا المؤمنين إلى تذكرها دائما، وأولى بهذا التذكر يوم وقوعها.

أليست هذه كلها من أيام الله التي لفت نظر المؤمنين إليها، ودعاهم إلى تذكرها؛ ليكون ما أودع الله فيها من عطاء أو بلاء دروساً للمؤمنين تنير لهم مستقبلهم دائماً، ويكيِّفون دنياهم على ضوء ما وقع فيها، ونور الآية تشدُّ المؤمنين بها إلى ذلك، فاقرؤوها في تدبر وخشوع ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم: ٥].

---

(١) ينظر: ((الإحكام في أصول الأحكام)) للآمدي: ١/ ١٠٥، و((المحصول في علم الأصول)) للرازي: ١/ ٧٦، و((البحر المحيط في أصول الفقه)) لأبي حيان: ٢/ ٢٦٩.

وأفضل الأيام بالنسبة للأمة المحمدية، بل للإنسانية كلها: هو يوم ميلاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يشكرون فيه ربهم على نعمة ميلاده؛ فهو النعمة المهداة والرحمة المسداة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]"[١].

بل إن ليلة الميلاد خلاصة كل الليالي والأيام ولولاها ما عرفنا يوم الهجرة ويوم بدر ويوم فتح مكة وليلة القدر وليلة المعراج، وغيرها من الأيام والليالي الفاضلة فكلها من حسنات ونفحات ليلة الميلاد.

يا ليلةَ الاثنين مـاذا صافحت ... يُمناكِ من شرفِ أشمَّ ومن غنَى
كلُّ الليـالي البيض في الدنيا لها ... نسبٌ إليك فأنت مفتاحُ السَّنَا
فالقدرُ والأعيـادُ والمعراجُ من ... حسـناتك اللَّاتي بهرْنَ الأعيُنَا[٢]

❁ ❁ ❁

(١) ((الإعلام بفتاوى أئمة الإسلام حول مولده عليه الصلاة والسلام)) للمالكي: صـ ٣٣٠.

(٢) ((نفح الطيب في مدح الحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ)) لمحمد أمين كتبي: صـ ٧٧.

المطلب الرابع

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[مريم: ٣٣]

لقد ذكر القرآن الكريم في بعض آياته ما يشير إلى تقدير يوم الميلاد، كالآية المتقدمة عن نبي الله عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وكقوله تعالى - عن نبي الله يحيى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ -: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: ١٥]، وغيرها من الآيات، ويستدل بمجموع هذه الآيات بدلالة الإشارة(١) إلى أهمية هذا اليوم في حياة المسلمين ليتذكروا نعمة الله عليهم بإرسال هؤلاء الرسل، وليشكروا الله تعالى على هذه النعمة العظيمة. ويلزم من ذلك جواز الاحتفال بالمولد النبوي فهو مظهر من مظاهر الاهتمام بيوم الميلاد.

وفي الحقيقة: إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هو أول من احتفل بيوم مولده؛ وذلك بتخصيصه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هذا اليوم بعبادة خاصة، وهي الصيام، وهذا هو معنى الاحتفال، وقد استنبط ذلك ابن الحاج، حيث قال: "لكن أشار عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلى فضيلة هذا الشهر

---

(١) دلالة الإشارة: هي إشارة اللفظ إلى معنى ليس مقصوداً منه بالأصالة، بل بالتبع. أو: هي دلالة اللفظ على معنى لازم للمعنى المقصود من السياق. وهي أحد أقسام المنطوق غير الصريح. ينظر ((المستصفى)) للغزالي: ٢/ ٢١٩، و((الإحكام في أصول الأحكام))، و((البحر المحيط)): ٥/ ١٣٢، و((الموافقات)) للشاطبي: ٢/ ١٩٥، و((مراقي السعود)): ١/ ١٠٠.

العظيم بقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للسائل الذي سأله عن صوم يوم الاثنين، فقال له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ((**ذاك يوم ولدت فيه**))[١] فتشريف هذا اليوم متضمِّن لتشريف هذا الشهر الذي ولد فيه. فينبغي أن نحترمه حق الاحترام ونفضله بما فضل الله به الأشهر الفاضلة وهذا منها ... وفضيلة الأزمنة والأمكنة بما خصها الله تعالى به من العبادات التي تفعل فيها، لما قد علم أن الأمكنة والأزمنة لا تتشرَّف لذاتها وإنما يحصل لها التشريف بما خصت به من المعاني. فانظر رحمنا الله وإياك إلى ما خصَّ الله تعالى به هذا الشهر الشريف ويوم الاثنين.

ألا ترى أن صوم هذا اليوم فيه فضل عظيم لأنه صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ولد فيه. فعلى هذا ينبغي إذا دخل هذا الشهر الكريم أن يكرَّم ويعظَّم ويحترم الاحترام اللائق به وذلك بالاتِّباع له صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في كونه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يخص الأوقات الفاضلة بزيادة فعل البر فيها وكثرة الخيرات"[٢].

وفي هذا رد على من يعترض على تخصيص هذا اليوم لهذا الاجتماع وإظهار الفرح والسرور فيه، وأنه تخصيص بلا دليل، قال الدكتور عزت علي عطية: "وبهذا الاستدلال رد القول بأن هذا الاحتفال تخصيص لهذا

---

(١) تقدم تخريجه: صـ ٥٨ .

(٢) ((المدخل)) لابن الحاج: صـ ٣.

اليوم بغير مخصص، حيث ثبت لهذا التخصيص أصل من السنة"[١].

وقد يقول قائل: إن القرآن الكريم اهتم بذكر يوم الوفاة كما اهتم بذكر يوم الولادة، وبالتالي فليس الفرح بأولى من الحزن، وكان الأولى بالمحب أن يتخذ هذا اليوم مأتماً ويوم حزن.

وقد أجاب عن ذلك الحافظ السيوطي حيث قال: "إن ولادته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أعظم النعم علينا، ووفاته أعظم المصائب لنا، والشريعة حثت على إظهار شكر النعم والصبر والسكون والكتم عند المصائب، وقد أمر الشرع بالعقيقة عند الولادة، وهي إظهار شكر وفرح بالمولود، ولم يأمر عند الموت بذبح ولا بغيره بل نهى عن النياحة وإظهار الجزع، فدلت قواعد الشريعة على أنه يحسن في هذا الشهر إظهار الفرح بولادته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دون إظهار الحزن فيه بوفاته، وقد قال ابن رجب في كتاب «اللطائف» في ذم الرافضة حيث اتخذوا يوم عاشوراء مأتما لأجل قتل الحسين: لم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتماً، فكيف ممن هو دونهم؟!"[٢]. ولله درُّ العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث يقول مدحاً في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) «البدعة: تحديدها وموقف الإسلام منها» للدكتور عزت علي عطية: صـ ٤١٥ .

(٢) «الحاوي للفتاوي» للسيوطي: ١/ ٢٢٦، و«لطائف المعارف» لابن رجب: صـ ٥٤.

من قبلِها طبـتَ في الجنانِ وفي مستودَعٍ حيثُ يُخْصَفُ الورَقُ
ثـمَّ هبطـتَ البـلادَ لا بـشَرٌ أنـت ولا مُضْغَـةٌ ولا عَلَـقُ
وأنتَ لمّـا وُلـدتَ أشرقتِ الـ أرضُ وضاءتْ بنـورِكَ الأُفقُ
فنحنُ في ذلـكَ الضِّياءِ وفي النُّـ ـورِ وسُبْلَ الرَّشادِ نخترِقُ[1]

❊ ❊ ❊

المطلب الخامس

قوله تعالى: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

إن لفظ (الخير) اسم جنس يدخل تحته أفراد كثيرة فهو عام، قال ابن عاشور: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: "صلةُ الأرحام ومكارم الأخلاق، ويظهر في هذا التَّرتيب أنَّهم أمروا أولاً بالصَّلاة وهي نوْعٌ من العبادة، وثانياً بالعبادة وهي نوعٌ من فعل الخير، وثالثاً بفعل الخير وهو أعمُّ من العبادة فبدأ بخاصٍّ ثم بعامٍّ ثم بأعم"[2].

ووجه الدلالة من هذه الآية أن الاحتفال بالمولد النبوي حوى كثيرا

(١) ((المواهب اللدنية بالمنح المحمدية)): ١/ ٦٨ .

(٢) ((التحرير والتنوير)): ٧/ ٥٣٩.

من أفعال الخير: كالصلاة على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ والصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور والإحسان إلى الفقراء ... فيستدل على جوازه بدلالة التضمّن إذ أن المولد جزء من الخير الذي أمر به القرآن الكريم، قال الحافظ ابن حجر الهيتمي: "إن قاصدي الخير وإظهار الفرح والسرور بمولد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ والمحبة له يكفيهم أن يجمعوا أهل الخير والصلاح والفقراء والمساكين، فيطعموهم ويتصدقوا عليهم محبةً له صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ، فإن أرادوا فوق ذلك أَمَروا من يُنشِد المدائح النبوية والأشعار المتعلقة بالحث على الأخلاق الكريمة مما يُحرِّك القلوب إلى فعل الخيرات، والكف عن البدع المنكرات، أي: لأن من أقوى الأسباب الباعثة على محبته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ: سماع الأصوات الحسنة المطربة بإنشاد المدائح النبوية إذا صادفت محلاً قابلاً؛ فإنها تُحدث للسامع شكراً ومحبة"(١).

إذاً فالقرآن الكريم أمر بفعل الخير، لكن شريطة أن لا يصادم هذا الخير أدلة الشرع، وليس بحجة أن يقول البعض: (كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ)، أو قولهم: (لو كان خيرا لسبقونا إليه)؛ لأن الترك وحده إن لم يصحبه نص على أن المتروك محظور لا يكون نصاً في ذلك، بل غايته أن يفيد أن ترك ذلك الفعل مشروع؛ وأما أن ذلك الفعل المتروك يكون محظوراً، فهذا لا يستفاد من الترك وحده، وإنما يستفاد من دليل

---

(١) ((جواهر البحار)): ٣/ ٣٩٤.

يدل عليه[١]، فكم من أمور تركها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وعملها الصحابة بعده أو التابعين أو حتى في زماننا الحاضر.

مثلاً: مسألة جمع القرآن الكريم، فعل هذا سيدنا أبوبكر الصديق – مع أنه لم يفعله رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حيث قال سيدنا عمر فيما رواه البخاري: "أنَّ زيد بن ثابت الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ،وكان ممن يكتب الوحي قال: أرسل إليَّ أبوبكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبوبكر: إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بالناس وإني أخشى أن يستحرَّ القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمع القرآن. قال أبو بكر قلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر. قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبوبكر إنَّك رجل شاب عاقل، ولا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفَّني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي

---

(١) الكلام في هذه المسألة طويل وأحيل القارئ إلى كتاب مهم حوى هذه المسألة وتفصيلاتها والشبه التي تثار حولها واسمه: ((حسن التفهم والدرك لمسألة الترك)) لعبد الله بن محمد بن الصديق الغماري.

شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال ..."[١].

فتأمل معي قول أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن سبب تعاونهما لجمع القرآن الكريم: (هو والله خير)، "فهذا الجواب من الخليفتين الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هو الجواب لكل من يستنكر اليوم ما أحدث من الخيرات بقوله: (لم يفعله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)؛ لأن الخير مأمور به في نص كتاب الله، موعود عليه بالفلاح: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، ومأمور بالدعوة إلى الخير ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]"[٢].

وفي هذا دليل على أن المحدَث إذا كان خيراً وموافقاً لأدلة الشرع، فلا يكون بدعة شرعاً وإن سمي بدعة لغة، فقد أخرج البيهقي في مناقب الشافعي أنه قال: «المحدثات من الأمور ضربان أحدهما ما أحدث يخالف كتاباً أو سنةً أو إجماعاً أو أثراً، فهذه البدعة الضلالة. والثاني ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، فهي محدثة غير مذمومة، وقد قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قيام شهر رمضان: (نعمت البدعة هذه) يعني إنها محدثة لم تكن،

---

(١) أخرجه البخاري: ٦/ ٢٧١١، حديث رقم (٦٩٨٩).

(٢) ((البيان النبوي عن فضل الاحتفال بمولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ)) للدكتور/ محمود أحمد الزين: صـ ١٢.

وإذا كانت فليس فيها رد لما مضى"[١]. وأخرج في ((الحلية)) في ترجمة الشافعي أنه قال: "البدعة بدعتان: بدعة محمودة ،وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم"[٢].

فكل خير له مستند من الشرع فليس ببدعة وإن لم يفعله السلف، قال الإمام الشافعي: "كل ما له مستند من الشرع فليس ببدعة، ولو لم يعمل به السلف؛ لأن تركهم للعمل به قد يكون لعذر قام لهم في الوقت، أو لما هو أفضل منه، أو لعله لم يبلغ جميعهم علم به"[٣].

وقال الدكتور عزت علي عطية - في تقريره لكلام الشافعي -: "فنحن نرى أن ترك الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لهذا الاحتفال، إنما كان لانشغالهم بما هو أهم كالجهاد، وإعداد الدولة الإسلامية من الناحية العلمية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، أو أنهم كانوا يحتفلون بهذا اليوم بصورة فردية أو أسرية لا تكاد تظهر في المجتمع، خاصة وأن مثل هذا اليوم ليس له شعيرة خاصة تظهر الاحتفال به كالعيد مثلا ..."[٤].

---

(١) ((مناقب الشافعي)) للبيهقي: ١/ ٤٦٨.

(٢) ((حلية الأولياء)): ٩/ ١١٣.

(٣) ينظر: ((إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة)) للغماري: صـ ٣٠.

(٤) ((البدعة: تحديدها وموقف الإسلام منها)) للدكتور: عزت علي عطية: صـ ٤١٤.

ومن هنا قال العلماء: إن حديث: ((**كل بدعة ضلالة**))(١) عام مخصوص، قال الإمام النووي – عند تعليقه على هذا الحديث –: «قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ((**وكل بِدعة ضلالة**)) هذا عام مخصوص، والمراد غالب البدع، قال أهل اللغة: هي كل شيء عمل على غير مثال سابق، قال العلماء: البدعة خمسة أقسام: واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة: فمن الواجبة: نظم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك، ومن المندوبة: تصنيف كتب العلم وبناء المدارس والربط وغير ذلك، ومن المباح: التبسط في ألوان الأطعمة وغير ذلك، والحرام والمكروه ظاهران وقد أوضحت المسألة بأدلتها المبسوطة في تهذيب الأسماء واللغات، فإذا عرف ما ذكرته علم أن الحديث من العام المخصوص وكذا ما أشبهه من الأحاديث الواردة، ويؤيد ما قلناه قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في التراويح: (نعمت البدعة)، ولا يمنع من كون الحديث عاماً مخصوصاً قوله: (كل بدعة) مؤكداً، بكل بل يدخله التخصيص مع ذلك ،كقوله تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٥]"(٢).

وقال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [البقرة:١١٧]: "كل بدعة صدرت من مخلوق فلا يخلو أن يكون لها أصل في الشرع أولا، فإن كان لها أصل كانت واقعة تحت عموم ما ندب الله إليه وخص رسوله

---

(١) أخرجه البخاري: ٥/ ٢٢٦٢، حديث رقم (٥٧٤٧)، ومسلم: ٢/ ٥٩٣، حديث رقم (٨٦٧).

(٢) ((شرح صحيح مسلم)) للنووي: ٦/ ١٥٤، وينظر: ((فتح الباري)) لابن حجر: ١٣/ ٢٥٣.

عليه، فهي في حيِّز المدح.

وإن لم يكن مثاله موجوداً كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف، فهذا فعله من الأفعال المحمودة، وإن لم يكن الفاعل قد سبق إليه. ويعضد هذا قول عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (نعمت البدعة هذه)، لما كانت من أفعال الخير وداخلة في حيز المدح، وهي وإن كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قد صلاها إلا أنه تركها ولم يحافظ عليها، ولا جمع الناس، عليها، فمحافظة عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عليها، وجمع الناس لها، وندبهم إليها، بدعة لكنها بدعة محمودة ممدوحة، وإن كانت في خلاف ما أمر الله به ورسوله فهي في حيِّز الذم والإنكار، قال معناه الخطابي وغيره.

قلت: وهو معنى قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في خطبته: ((**وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**)) يريد ما لم يوافق كتاباً أو سنة، أو عمل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقد بيَّن هذا بقوله: ((**من سنَّ في الإسلام سنة حسنة، كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة ،كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**))[١]، وهذا إشارة إلى ما ابتدع من قبيح وحسن، وهو أصل هذا الباب"[٢].

---

(١) أخرجه مسلم: ٢/ ٥٩٣، حديث رقم (٨٦٧).

(٢) ((تفسير القرطبي)): ٢/ ٨٧.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "وما سمِّي (بدعة) وثبت حسنه بأدلة الشرع فأحد الأمرين فيه لازم: إما أن يقال: ليس ببدعة في الدين وإن كان يسمى بدعة من حيث اللغة، كما قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: (نعمت البدعة هذه)، وإما أن يقال: هذا عام خصت منه هذه الصورة لمعارض راجح، كما يبقى فيما عداها على مقتضى العموم كسائر عمومات الكتاب والسنة"[1].

ويمكن أن يستدل على أن الاحتفال بالمولد النبوي يدرج في أعمال الخير بالقياس الاقتراني المنطقي والذي تكون فيه النتيجة مذكورة بالقوة[2]، وذلك على النحو الآتي:

الاحتفال بالمولد النبوي عمل خيري	مقدمة صغرى
وكل عمل خيري مستحسن شرعي	مقدمة كبرى
الاحتفال بالمولد النبوي مستحسن شرعي	النتيجة

قد يعترض بعضهم بأنه وإن كان خيراً مادام أنه محدث لا يجوز فعله مستدلا بحديث ابن مسعود ففي ((سنن الدارمي)): "أخبرنا الحكم بن المبارك أنبأنا عمر بن يحيى قال سمعت أبي يحدث عن أبيه قال : كنا نجلس على

---

(١) ((مجموع الفتاوى)): ١٠/ ٢٧١.

(٢) ينظر: ((شرح المحلي على جمع الجوامع)) للسبكي: ٢/ ٢٠٩، و((نشر الورود على مراقي السعود)) للشنقيطي: ٢/ ٥٦٥، و((ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة)) للدكتور/ عبدالرحمن حسن الميداني: صـ ٢٢٩.

باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا لا فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته ولم أرَ والحمد لله الا خيراً، قال: فما هو؟ فقال: ان عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوما حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقةٍ رجل وفي أيديهم حصاً فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة. فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة. ويقول سبحوا مائة، فيسبحون مائة. قال فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟! قالوا يا أبا عبد الله حصاً نعد به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء؛ ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم هؤلاء صحابة نبيكم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحوا باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا الا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه؛ إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى

عنهم فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحِلَق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج"[١].

ويمكن مناقشة حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من خلال النقاط الآتية:

١. أن بعض طرق هذا الحديث فيها ضعف، فقد روى هذا الحديث أيضاً الطبراني في «المعجم الكبير»[٢] من طريق عمرو بن مسلمة، قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد»: "رواه الطَّبراني في الكبير، وفيه مجالد بن سعيد، وثَّقه النَّسائي، وضعَّفه البخاري وأحمد بن حنبل ويحيى"[٣].

٢. على افتراض صحة الحديث فهو معارض بأحاديث أصح منه تدل على فضيلة الذكر، قال الحافظ السيوطي: "هذا الأثر عن ابن مسعود يحتاج إلى بيان سنده ومن أخرجه من الأئمة الحفاظ في كتبهم، وعلى تقدير ثبوته فهو معارض بالأحاديث الكثيرة الثابتة المتقدمة[٤]، وهي مقدمة عليه عند التعارض، ثم رأيت ما يقتضي إنكار ذلك عن ابن مسعود، قال الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد: ثنا حسين بن محمد، ثنا المسعودي، عن عامر بن شقيق ،عن أبي وائل قال: هؤلاء الذين

---

(١) «سنن الدارمي»، تحقيق: حسين سليم أسد: ١/ ٧٩، حديث رقم (٢٠٤). قال المحقق: إسناده جيد.

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني: ٩/ ١٢٧، حديث رقم (٨٦٣٦) .

(٣) «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للحافظ الهيتمي: ١/ ٢٢١، حديث رقم (٨٥٤) .

(٤) وهذه الأحاديث هي نفسها التي ذكرها السيد عبد الله الحداد كما سيأتي.

يزعمون أن عبد الله كان ينهى عن الذكر، ما جالست عبد الله مجلساً قط إلا ذكر الله فيه. وأخرج أحمد في الزهد عن ثابت البناني قال: إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله، وإن عليهم من الآثام أمثال الجبال، وإنهم ليقومون من ذكر الله تعالى ما عليهم منها شيء"[١].

وقال السيد العلامة عبدالله محفوظ الحداد: "هل يصح أن يوضع رأي ابن مسعود لمعارضة ما صح عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من تقريره لكل اجتماع على ذكر الله، بل وحثه عليه في أحاديث كثيرة متعددة يمكن لمجموعها أن تبلغ التواتر المعنوي ففي ((صحيح مسلم)) عن أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: ((**لا يقعد قومٌ يذكرون الله عَزَّ وَجَلَّ إلا حَفَّتْهُمُ الملائكة وغشيتهم الرَّحمة ونزلت عليهِم السَّكينةُ وذكرهم الله فيمن عنده**))[٢]، والحديث المتفق عليه: ((**يقول الله تعالى أنا عند ظنِّ عبدِي بي وأنا معه إِذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذَكرته في ملإٍ خيرٍ مِنهم**))[٣]، وغير هذه من الأحاديث الثابتة الصحيحة بالاجتماع بالذكر ... ولكنه الولع والتشغيب أدَّاهم مقابلة رأي ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بحديث

---

(١) ((الحاوي للفتاوي)) للسيوطي: ١/ ٤٧٢ .

(٢) أخرجه مسلم: ٤/ ٢٠٧٤، حديث رقم (٢٧٠٠) .

(٣) أخرجه البخاري: ٦/ ٢٧٢٥، حديث رقم (٧٠٦٦)، ومسلم: ٤/ ٢١٠٢، حديث رقم (٢٦٧٥) .

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وإنكار ما صرح به الحديث لرأي ابن مسعود"(١).

ومعلوم أن تقديم رأي الصحابي على حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أمر خطير، بل حذر منه الصحابة أنفسهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فهذا ابن عباس كما روى عنه سعيد بن جبير يقول: "عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: تمتع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة، فقال ابن عباس: ما يقول عروة قال: يقول: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون، أقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ويقول نهى أبو بكر وعمر"(٢).

٣. أضف إلى ذلك أن حديث ابن مسعود يعارضه حديث آخر أصح منه يدل على أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ربما في بعض الأمور يجتهد فيها برأيه، كتخصيص ابن مسعود كل خميس بالموعظة كما في البخاري ونص الحديث: "عن أبي وائل قال كان عبد الله يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنَّك ذكرتنا كل يوم. قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملَّكم وإني أتخوَّلكم بالموعظة كما كان

---

(١) ((السنة والبدعة)) لعبدالله محفوظ الحداد: صـ ٢٨ .

(٢) أخرجه أحمد في ((مسنده)): ١/ ٣٣٧، حديث رقم (٣١٢١) .

النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يتخوّلنا بها مخافة السآمة علينا"[١] قال الحافظ ابن حجر: "واحتمل عمل بن مسعود مع استدلاله أن يكون اقتدى بفعل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ حتى في اليوم الذي عينه واحتمل أن يكون اقتدى بمجرد التخلل بين العمل والترك الذي عبر عنه بالتخول والثاني أظهر"[٢]. حيث رجح ابن حجر أن عمل ابن مسعود هو من اجتهاده. وهذا الحديث في ((البخاري)) وبالإجماع أنه في مسألة التعارض يقدم ما في ((الصحيحين)) على غيرهما من كتب الحديث، قال الشيخ الشنقيطي - في ((مراقي السعود))، كتاب التعادل والتراجيح أثناء كلامه عن المرجحات من حيث السند -:

وكونه أودع في الصحيح   لمسلم والشيخ ذي الترجيح[٣]

٤. يضاف أيضاً ما روي عن ابن مسعود رَضِىَٱللَّهُعَنْهُ أنه أنكر أن تكون المعوذتان من القرآن الكريم[٤]، فهل نوافق ابن مسعود في هذا الرأي مع إجماع الأمة أن القرآن الكريم منقول بالتواتر والمعوذتان سورتان منه.

---

(١) أخرجه البخاري: ١/ ٣٨، حديث رقم (٦٨).

(٢) ((فتح الباري)): ١/ ١٦٣.

(٣) ((نثر الورود على مراقي السعود)) للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي: صـ ٥٩٧.

(٤) ينظر: ((فضائل القرآن)) لابن الضريس: ١/ ١٢٤، و((فضائل القرآن)) للمستغفري: ٢/ ٧٤٣، و((الحاوي الكبير)) للماوردي: ٢/ ٢٤٢، و((مناهل العرفان في علوم القرآن)): ١/ ٢٧٦.

٥. أن حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد يوجد له محمل سليم وذلك من خلال النظر في هذه الرواية، لما قال عمرو بن سلمة: "رأينا عامة أولئك الحِلق يطاعنونا يوم النهروان"، قال الدكتور عزت علي عطية: "وهذا كله يدل على أن هؤلاء كانوا مشهورين بالتشدد والخروج على الجماعة وأن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومن ماثله كانوا يرون فيهم صفات الخوارج الذين حذر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ منهم ... ولعل في هذا التعليل ما يدفع ما قيل من التعارض بين ما روي عن عبد الله بن مسعود من إنكار لمثل هذه المجالس ومن إقراره له"[١].

ولعل هذا التوجيه أفضلها وبه يزول الإشكال.

ولكن للأسف، فقد تعصَّب لحديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جماعة من المتفيقهين ومنعوا مجالس الذكر ظناً منهم أنها بدعة ضلالة، بل حتى حلق القرآن الكريم لم تسلم منهم، قال السيد العلامة عبد الله الحداد: "والغريب أنهم بكلام ابن مسعود هذا أخرجوا الشباب من المسجد وقد كانوا يحضرون الأحزاب المعروفة عندنا في المساجد بين المغرب والعشاء، أخرجوهم إلى الأسواق والأندية، بزعم أن هذه الأحزاب من البدعة نعوذ بالله من الضلالة، ألا قالوا لهم على الأقل كما قال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيمن

---

(١) ((البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها)) للدكتور عزت علي عطية: صـ ٢٧٧ .

يصلي قبل العيد: "إن الله لا يرد على عبد إحساناً"[١]

أو كما قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أكره أن أكون كالذي ينهى عبدا إذا صلى"[٢]، ... وياليتهم حين صرفوهم عن هذه الاجتماعات الخيرية شغلوهم ببديل أفضل، أو إلى خير أيٍّ كان فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[٣].

وقال الحافظ ابن حجر الهيتمي - في تعليقه على حديث: ((**لا يقعد قوم يذكرون الله**))[٤] وحديث: ((**أتاني جبريل فأخبرني: أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة**))[٥] -: "في الحديثين أوضح دليل على فضل الاجتماع على الخير والجلوس له، وأن الجالسين على خير كذلك يباهي الله بهم الملائكة"[٦].

---

(١) ((مصنف عبد الرزاق)): ٣/ ٣٠٤، حديث رقم (٥٦٠٤) ونصه: عن الأزرق بن قيس عن رجل قال: "جاء ناس من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم العيد قبل خروج الإمام فصلوا، وجاء ابن عمر فلم يصل، فقال الرجل لابن عمر: جاء ناس من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فصلوا، وجئت فلم تصل، فقال ابن عمر: ما الله تبارك وتعالى براد على عبد إحساناً أحسنه".

(٢) ((مصنف عبد الرزاق)): ٣/ ٢٧٦، حديث رقم (٥٦٦٢٦)، ونصه: عن المنهال بن بن عمرو عن رجل قد سماه، قال : "خرجنا مع علي بن أبي طالب في يوم عيد إلى الجبانة فرأى ناساً يصلون قبل صلاة الإمام، فقال كالمتعجب: ألا ترون هؤلاء يصلون؟ فقلنا: ألا تنهاهم؟ فقال: أكره أن أكون كالذي ينهى عبدا إذا صلى، ثم بدأ بالصلاة قبل الخطبة ولم يصل قبلها ولا بعدها".

(٣) ((السنة والبدعة)): صـ ٢٨ - ٢٩.

(٤) تقدم تخريجه: صـ ٧٥.

(٥) أخرجه مسلم: ٤/ ٢٠٧٥، حديث رقم (٢٧٠١).

(٦) ((الفتاوى الحديثية)) لابن حجر الهيتمي: صـ ١٥٠.

المطلب السادس

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

فهذه الآية الكريمة تدل على تشريف مقام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وتعظيمه، كيف لا وقد عظَّمه ربه وملائكته بالصلاة عليه، بل وثلَّث بالمسلمين أن يصلوا عليه، قال ابن عاشور: "أعقبت أحكام معاملة أزواج النبيء عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالثَّناء عليه وتشريف مقامه إيماءً إلى أنَّ تلك الأحكام جارِيةٌ على مناسبة عظمة مقام النبيء عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عند الله تعالى، وإلى أنَّ لأزواجه من ذلك التَّشريف حظّاً عَظِيماً؛ ولذلك كانت صيغة الصَّلاة عليه التي علَّمها للمسلمين مشتملةً على ذكر أزواجه كما سيأتي قريباً، وليُجعل ذلك تمهيداً لأمر المؤمنين بتكرير ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بالثَّناء والدُّعاء والتَّعظيم، وذُكرَ صلاةُ الملائكة مع صلاة الله ليكون مثالاً من صلاة أشرف المخلوقات على الرَّسول لتقريب درجة صلاة المؤمنين الَّتي يؤمرون بها عقب ذلك، والتَّأكِيد للاهتمام، ومجيءُ الجملة الاسميَّة لتقوِية

الخبر، وافتتاحها باسم الجلالة لإدخال المهابة والتَّعظيم في هذا الحكم"[١].

وقد أُمرنا بكثرة الصلاة عليه في يوم الجمعة وليلته قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ((**أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة**))[٢].

والسؤال الذي يتبادر للذهن: لماذا يوم الجمعة وليلته بالذات؟ لا شك أن فيه لفتة بديعة تدل على تعظيم مقام النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وفضله على أمته، قال الإمام ابن القيم – في معرض كلامه عن خصائص يوم الجمعة – : "الخاصّية الثانية استحباب كثرة الصَّلاة على النّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فيه وفي ليلته لقوله: ((**أكثروا من الصَّلاة عليَّ يوم الجمعة**)) ورسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ سيِّد الأنام ويوم الجمعة سيِّد الأيام، فللصّلاة عليه في هذا اليوم مزيّةٌ ليست لِغيره، مع حكمةٍ أخرى، وهي أنَّ كل خيرٍ نالتهُ أمَّته في الدُّنيا والآخِرةِ فإنّما نالتْهُ على يده، فجمع اللهُ لأمَّته به بين خيرَيْ الدُّنيا والآخرة، فأعظم كرامةٍ تحصل لهم فإنَّما تحصل يوم الجمعة فإنَّ فيه بَعْثهم إلى منازلِهم وقصورهم في الجنَّة، وهو يوم المزِيد لهم إذا دخلوا الجنَّة وهو يوم عيدٍ لهم في الدُّنيا ويومٌ فيه يُسعفهم اللهُ تعالى بطلباتهم وحوائجهم ولا يَردُّ سائلَهم، وهذا كلُّه إنَّما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده، فمن شكره

---

(١) ((التحرير والتنوير)): ٢٢/ ٩٧ .

(٢) أخرجه الحاكم في ((المستدرك)): ٢/ ٤٥٧، حديث رقم (٣٥٧٧)، وهو حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (أي: الشيخين: البخاري ومسلم). ((موسوعة التخريج)): ١/ ١٤٦٦٢ .

وحمده وأداء القليل من حقِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أن نكثر من الصَّلاة عليه في هذا اليوم وليلته"[١].

اللهُ عظَّم قدرَ جاهِ محمدٍ   وأنالهُ فضلاً لديهِ عَظيما

في مُحكم التنزيلِ قال لخلقِهِ   صلُّوا عليه وسلِّموا تسليما[٢]

أضف إلى ذلك أن الأمر قد يكون في ذاته مباح، ولكن النية الصالحة تحوِّله من عادة مباحة إلى عبادة يثاب على فعلها والقاعدة الفقهية تقول: «النية تحول العادة إلى عبادة»[٣]، قال صاحب «الزبد» وهي منظومة في الفقه الشافعي:

لكن إذا نوى بأكله القوى   لطاعة الله له ما قد نوى[٤]

أَي: أن المُكلف إذا نوى بفعل المباح التَّقْوَى لطاعة الله تعالى له ما قد نوى، فيثاب عليه كأن نوى بِأكله المباح التَّقوِّي على العبادة أَو بنومه النشاط لها[٥].

والاحتفال بيوم المولد النبوي وإظهار الفرح والسرور، وقراءة شيء من سيرة النبي وأخباره: هو من باب تعظيم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ

(١) «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيم: ١/ ٢٦٣ .

(٢) ينظر: «الإعلام بفتاوى أئمة الإسلام حول مولده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ» للمالكي: صـ ٣١٦ .

(٣) «منار السبيل في شرح الدليل»: ٢/ ١٨٧ .

(٤) «غاية البيان شرح زبد ابن رسلان»: صـ ٢٤ .

(٥) المصدر نفسه.

وتوقيره ومحبته، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية- مع أن رأيه عدم جواز الاحتفال بالمولد وبدعيته-: «فتعظيم المولد، واتخاذه موسماً، قد يفعله بعض الناس ،ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ "(١).

وقال الحافظ السخاوي: "وأصل عمل المولد الشريف لم ينقل عن أحد من السلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة، وإنما حدث بعدها بالمقاصد الحسنة، والنية التي للإخلاص شاملة ،ثم لا زال أهل الإسلام في سائر الأقطار والمدن العظام، يحتفلون في شهر مولده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وشرَّف وكرَّم؛ بعمل الولائم البديعة، والمطاعم المشتملة على الأمور البهيجة الرفيعة، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون المسرات ويزيدون في المبرات، بل يعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عظيم عميم، بحيث كان مما جرِّب؛ كما قال الإمام شمس الدين ابن الجزري المقرئ المقرب: ومن خواصه: أنه أمان تام في ذلك العام، وبشرى تعجيل بنيل ما يبتغى ويرام ..."(٢).

وقال الحافظ السيوطي – عند إجابته لسؤال عن حكم عمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول – : "والجواب عندي: أن أصل عمل المولد

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية: صـ ٢٩٧ .

(٢) «الأجوبة المرضية» للسخاوي: ٣/ ١١٦.

الذي هو اجتماع الناس، وقراءة ما تيسر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وما وقع في مولده من الآيات، ثم يمدُّ لهم سماطٌ يأكلونه، وينصرفون من غير زيادة على ذلك، هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها؛ لما فيه من تعظيم قدر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وإظهار الفرح والاستبشار بمولده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ"(١).

وفي الحقيقة لو لم توجد فائدة من عمل المولد النبوي إلا كثرة الصلاة على النبي لكفت، قال السيد أحمد عابدين - بعد نقل أقوال العلماء القائلين باستحباب الاحتفال بالمولد النبوي - : "فإنه إذا لم يكن من ذلك فائدة إلا كثرة الصلاة والسلام عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لكفى وفضلها لا يخفى، والله سبحانه أعلم بالمرام، وإنما الأعمال بالنيات"(٢).

يضاف إلى ما تقدم أنه يمكن أن يستدل بهذه الآية على وجوب كل ما يشعر بتعظيمه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حاضراً كان أو غائباً؛ استنباطاً من الأمر بخصوص الصلاة والسلام عليه عند مجرد ذكر اسمه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، بطريق تنقيح المناط(٣)، وإلغاء خصوص طلبها في تعظيمه عند ذلك، واعتبار

---

(١) ((حسن المقصد في عمل المولد)) للسيوطي: صـ ٤٤ .

(٢) ((جواهر البحار)) للنبهاني: ٣/ ١١٣٥ .

(٣) تنقيح المناط: هو أن يدل ظاهر من كتاب أو سنة على التعليل بوصف فيحذف المجتهد خصوص هذا الوصف الذي دل ظاهر النص على أنه العلة، وينيط الحكم بما هو أعم منه، مثلا قوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾، فقد ألغوا خصوص الوصف الذي هو (الأنوثة) في تشطير =

طلب عموم كل ما يشعر بتعظيمه[١]. ولا شك أن الاحتفال بالمولد النبوي مظهر من مظاهر تعظيم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ وتوقيره، كما تقدم.

ونصوص القرآن العظيم متعددة لمن تدبرها في دلالتها على جواز الاحتفال بالمولد النبوي، ولكن **يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق**، فنكتفي بهذا القدر من الأدلة فالقرآن الكريم بحر واسع تصب فيه أنهار كثيرة، وما أروع قول الإمام الحداد:

ألا إنَّــه البحر المحيــط وغيرُه   من الكتــبِ أنهارٌ تمدُّ من البحرِ
تدبَّــر معانيــه ورتِّله خاشــعاً   تفوزُ من الأسرار بالكنز والذُّخرِ[٢]

فكلام الله تعالى لا تنقضي عجائبه، ومهما استنبط منه البشر من أفهام، فإنه لا يساوي ما أودعه الله في آية من كتابه، يقول الإمام سهل التستري: "لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم، لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه؛ لأنه كلام الله، وكلامه صفته، وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله عليه"[٣]

= الحد وأناطوه بـ (الرق) تنقيحا للمناط. ينظر: ((المستصفى)): ٢/ ٢١٩، و((البحر المحيط)): ٧/ ٣٢٢، و((الموافقات)): ٢/ ١٩، و((نثر الورود على مراقي السعود)): ٢/ ٥٢٢.

(١) ينظر: ((الإعلام بفتاوى أئمة الإسلام)): صـ ١١٧ .

(٢) ((الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم)) للإمام الحداد: صـ ٢٣١.

(٣) ((البرهان في علوم القرآن)) للزركشي: ١/ ٩ .

إذاً من خلال ما تقدم من الأدلة القرآنية وأقوال العلماء، وكيفية الاستنباط من هذه النصوص بالدلالات المعروفة (قياس الأولى {مفهوم الموافقة}، تنقيح المناط، دلالة الإشارة، دلالة التضمن، دلالة الالتزام، القياس الاقتراني)، يتبين لنا أن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة حسنة؛ ومعلوم أن القرآن الكريم كله حق والمستنبط منه حق؛ لأنه تابع له ما دام الاستنباط بطريقة واضحة وصحيحة، قال الإمام ابن حزم: "جميع ما استنبطه المجتهدون معدود من الشريعة، وإن خفي دليلُه على العوام، ومن أنكر ذلك فقد نسب الأئمة إلى الخطأ، وأنهم يُشرِّعون ما لم يأذن به الله، وذلك ضلال من قائله عن الطريق"[(١)]، وقال الشيخ السعدي – عند كلامه على القاعدة الحادية عشرة: مراعاة دلالة التضمن والمطابقة والالتزام –: "وهذه القاعدة: من أجل قواعد التفسير وأنفعها، وتستدعي قوة فكر، وحسن تدبر، وصحة قصد، فإنَّ الذي أنزله للهدى والرحمة هو العالم بكل شيء، الذي أحاط علمه بما تكن الصدور، وبما تضمنه القرآن من المعاني، وما يتبعها وما يتقدمها، وتتوقف هي عليه، ولهذا أجمع العلماء على الاستدلال باللوازم في كلام الله لهذا السبب"[(٢)].

وأما كيفية اتباع هذا الطريق فيقول فيه:

---

(١) ينظر: ((الميزان الكبرى)) للشعراني: ١/ ١٦ .

(٢) ((القواعد الحسان في تفسير القرآن)) للسعدي: صـ ٣٢ .

"والطريق إلى سلوك هذا الأصل النافع: أن تفهم ما دل عليه اللفظ من المعاني فإذا فهمتها فهماً جيداً، ففكِّر في الأمور التي تتوقف عليها، ولا تحصل بدونها، وما يشترط لها، وكذلك فكِّر فيما يترتب عليها، وما يتفرع عنها، وينبني عليها، وأكثر من هذا التفكير وداوم عليه ،حتى تصير لك ملكة جيدة في الغوص على المعاني الدقيقة؛ **فإن القرآن حق، ولازم الحق حق، وما يتوقف على الحق حق، وما يتفرع عن الحق حق، ذلك كله حق ولابد.**

فمن وُفِّق لهذه الطريقة وأعطاه الله توفيقاً ونوراً، انفتحت له في القرآن العلوم النافعة، والمعارف الجليلة، والأخلاق السامية، والآداب الكريمة العالية"[١].

ومن هنا قال جمهور العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة[٢] بأن الاحتفال بالمولد النبوي: بدعة حسنة إذا خلا من المنكرات كالاختلاط بين الرجال والنساء واستخدام المعازف وآلات اللهو المحرَّمة، فلا شك أن هذا لا يجوز باتفاق الكل (المجيزين والمانعين). والحمد لله موالدنا خالية من هذه الأمور، قال السيد العلامة محمد بن علوي المالكي: "إن الاجتماعات التي ندعوا إليها وننادي بها ونقصدها، والتي تنعقد للاحتفال بسيرة النبي

---

(١) ((القواعد الحسان في تفسير القرآن)) للسعدي: صـ ٣٢ .

(٢) وممن قال بالمنع من العلماء: ابن تيمية والفاكهي الحنبليان، وابن الحاج المالكي رحمهم الله. ينظر: ((حكم الاحتفال بالمولد النبوي بين المجيزين والمانعين دراسة مقارنة)) لعبدالفتاح بن صالح اليافعي. وقد ناقش أدلة المانعين السيوطي في كتابه: ((حسن المقصد في عمل المولد)).

الكريم والرسول العظيم سيدنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في الحرمين ونحضرها، أو في غيرها من البلاد العربية والإسلامية: كمصر والمغرب والشام وبلاد الخليج واليمن .. هي مجامع شريفة نظيفة، مجامع أدب وذوق وتقدير واحترام، مجامع فضل وعلم، وفرح وبهجة وسرور"(١).

والبدعة الحسنة يستحب فعلها، قال الحافظ ابن حجر الهيتمي: "إن البدعة الحسنة متفق على ندبها، وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك؛ أي: أنه بدعة حسنة"(٢).

وأختم هذا المبحث بعبارة الحافظ القسطلاني عن تقريره للاحتفال بالمولد النبوي، حيث قال: "ولا زال أهل السلام يحتفلون بشهر مولده عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويعملون الولائم، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون في المبرات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم. ومما جرب من خواصه: أنه أمانٌ فى ذلك العام، وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام، فرحم الله امرءاً اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً؛ ليكون أشد علةً على من في قلبه مرض وإعياء داء"(٣).

---

(١) ((الإعلام بفتاوى أئمة الإسلام حول مولده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ)) للمالكي: صـ ٤٣ .

(٢) ((الفتاوى الحديثية)) لابن حجر الهيتمي: صـ ١٥٠ .

(٣) ((المواهب اللدنية في المنح المحمدية)) للقسطلاني: ١/ ٧٨ .

خاتمة في أدب الاختلاف

بما أن مسألة الاحتفال بالمولد النبوي مسألة اجتهادية، والمسألة الاجتهادية تختلف فيها الآراء وتتعدد فيها وجهات النظر، إليك أخي القارئ بعض الضوابط المهمة والتي تعينك على فهم مثل هذه المواضيع وكيفية التعامل معها، وذلك على النحو الآتي:

١. إن أساس النظر إلى المسائل الاجتهادية، وإلى حكم الاختلاف فيها: هو ما بيَّنه لنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: ((**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**))[١]؛ ولذلك فالاختلاف المبني على هذا الحديث اختلاف سائغ وجائز، وهو من الاختلاف في الفروع، قال ابن العربي - عند قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ١٠٥] -: التفرق المنهي عنه يحتمل ثلاثة أوجه: الأول: التفرق في العقائد ... الثالث: ترك التخطئة في الفروع والتبري فيها، وليمض

(١) أخرجه البخاري: ٦/ ٢٦٧٦، حديث رقم (٦٩١٦)، ومسلم: ٣/ ١٣٤٢، حديث رقم (١٧١٦).

كل أحد على اجتهاده؛ فإن الكل بحبل الله معتصم، وبدليله عامل؛ وقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: ((**لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة**))[1]؛ فمنهم من حضرت العصر فأخرها حتى بلغ بني قريظة أخذاً بظاهر قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ومنهم من قال: لم يرد هذا منّا، يعني وإنما أراد الاستعجال، فلم يعنف النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أحداً منهم؛ والحكمة في ذلك أن الاختلاف والتفرق المنهي عنه إنما هو المؤدي إلى الفتنة والتعصب وتشتيت الجماعة، فأما الاختلاف في الفروع فهو من محاسن الشريعة قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: ((**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد**))، وروي: ((**أن له إن أصاب عشرة أجور**))"[2][3]. إذاً فالاختلاف في الفروع اختلاف محمود إذا سلم من البغي والتعصب واتباع الهوى، ولم يؤد إلى التفرق بين المسلمين وإثارة الخلافات والتحريش فيما بينهم، وإلا كان مذموماً.

٢. المخطئ في المسائل الاجتهادية غير مبتدع ولا ضال: ففي الحديث تصريح بأن المخطئ غير مبتدع فضلا أن يكون ضالاً؛ لأن الله لا يأجر على البدعة، ولأنه ربما يكون له دليل لم يطلع عليه المخالف، فلا يجوز

---

(١) تقدم تخريجه: صـ ٣١ .

(٢) ((أحكام القرآن)) لابن العربي: ٢/ ٦٤ .

(٣) هذه رواية أحمد في ((المسند)): ٤/ ٢٠٥، قال الحافظ ابن حجر: "فيها ضعف". ((فتح الباري)): ١٣/ ٣٠٩ .

تبديعه، فقد قرر الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يتحرَّج من تبديع من يخالف السنَّة على وجه يسوغ فيه الاجتهاد، فقد سئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قبض اليدين بعد الرفع من الركوع، وأن أحد العلماء حكم بأن هذا الفعل بدعة، فقال: "أنا أتحرج من أن يكون مخالف السنَّة على وجه يسوغ فيه الاجتهاد مبتدعاً، فالذين يضعون أيديهم على صدورهم بعد الرفع من الركوع إنما يبنون قولهم هذا على دليل من السنة، فكوننا نقول: إن هذا مبتدع؛ لأنه خالف اجتهادنا، هذا ثقيل على الإنسان، ولا ينبغي للإنسان أن يطلق كلمة بدعة في مثل هذا؛ لأنه يؤدي إلى تبديع الناس بعضهم بعضاً في المسائل الاجتهادية التي يكون الحق فيها محتملاً في هذا القول أو ذاك، فيحصل به من الفرقة ما لا يعلمه إلا الله"(١).

٣. تجنب القطع والإنكار في المسائل الاجتهادية: بما أن الاختلاف في المسائل الاجتهادية أمر سائغ، وبالتالي فلا يجوز القطع بالحكم فيها ولا يجوز الإنكار على المخالف، فقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عمن يقلد بعض العلماء في مسائل الاجتهاد: فهل ينكر عليه أم يهجر؟ وكذلك من يعمل بأحد القولين؟ فأجاب: "الحمد لله، مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه وإذا كان في المسألة قولان: فإن كان الإنسان يظهر

---

(١) ((فتاوى أركان الإسلام)) لابن عثيمين: صـ ٣٢٤.

له رجحان أحد القولين عمل به وإلا قلد بعض العلماء الذين يعتمد عليهم في بيان أرجح القولين والله أعلم"(١).

وهذا هو موقف الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من القضايا الاجتهادية التي تختلف فيها وجهات النظر، حيث إن كل واحد منهم يقبل رأي الآخر، ولو كان مخالفا لرأيه، فقد روي: "عن عمر أنه لقي رجلا فقال: ما صنعت؟ قال: قضى علي وزيد بكذا، قال: لو كنت أنا لقضيت بكذا، قال: فما منعك والأمر إليك؟ قال: لو كنت أردك إلى كتاب الله أو إلى سنة نبيه - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ - لفعلت، ولكني أردك إلى رأي، والرأي مشترك، فلم ينقض ما قال علي وزيد"(٢).

أما كيفية التعامل مع هذه المسائل المختلفة، أو القواعد الأخلاقية لفقه الاختلاف فعلى النحو الآتي:

١) **الأخوة الإيمانية (القاسم المشترك بين الطرفين):**

يجب أن يعلم الكل أنا وإن اختلفنا في بعض الأفكار والمسائل فإننا نتفق فيما هو أهم من ذلك، فنحن أولاً وآخراً كلنا مسلمون، فيجب علينا أن نحافظ على هذه الأخوة الإيمانية، ونعض عليها بالنواجذ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠]، ونبتعد

(١) ((مجموع الفتاوى)): ٢٠/ ٢٠٧ .

(٢) ((إعلام الموقعين)) لابن القيم: ١/ ٥٢ .

عن كل ما يعكر صفوها، وإن وجد أسرعنا لإصلاحه.

ومن ذهبيات الإمام الشافعي في ذلك: ما حكاه الذهبي في ترجمة تلميذه يونس بن عبد الأعلى الصَّدَفي، قال: "ما رأيت أعقل من الشافعي! ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي ثمَّ قال: يا أبا موسى **ألا يستقيم بنا أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة**"(١).

ولو أنا جعلنا هذه العبارة الرائعة شعارنا اليوم لما وجدنا هذا الصراع والتنازع التي تشهده ساحاتنا الإسلامية اليوم.

وقد عبر عن هذا المعنى البديع الشيخ محمد رشيد رضا بقوله: **"نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه"**(٢).

٢) حسن الظن بالآخرين واحترام الرأي الآخر:

إن من المبادئ الأخلاقية المهمة في التعامل بين المسلمين بعضهم ببعض حسن الظن بالآخرين، بل هو من أعظم شعب الإيمان، وفي المقابل فقد حذر القرآن الكريم من سوء الظن، إذ الأصل حمل المسلم على الصلاح، وألا تظن به إلا خيراً، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ

---

(١) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي: ١٠/ ١٦.

(٢) ينظر: ((الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم)) للدكتور يوسف القرضاوي: صـ ١٥٩، و((الخلاصة في أصول الحوار وأدب الاختلاف)) لعلي بن نايف الشحود: ٢/ ٢١٥.

كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].

فإذا رأيت من أخيك أمرا يحتمل وجها واحدا يكون فيه خيرا وأكثر من عشرة أوجه لا تحتمل إلا شراً، فعلى أي وجه تحمله؟ يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "فإذا كان العمل الصادر عن المسلم يحتمل وجها واحداً يكون فيه خيراً، وعشرين وجهاً لا يكون فيها إلا شراً، فينبغي حمل هذا العمل على وجه الخير الممكن والمحتمل، وإذا لم يجد وجها واحدا للخير يحمله عليه، فيحمل به أن يتريث، ولا يستعجل في الاتهام، فقد يبدو له شيء عن قريب"(١).

وما أروع ما قاله الشاعر:

تأنَّ ولا تعجل بلومك صاحباً لعل له عـذراً وأنت تلومُ(٢)

ومن ذهبيات الإمام الشافعي في احترام الرأي الآخر قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب"(٣).

ومثال ذلك من مسألتنا (الاحتفال بالمولد النبوي): شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو ممن قال ببدعية الاحتفال بالمولد النبوي، ولكنه

(١) ((الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم)) للقرضاوي: صـ ٢٢٥ .

(٢) ((مجمع الأمثال)) للنيسابوري: ٢/ ١٩٢ .

(٣) ((آداب المناظرة)) لعمرو بن سليم: ١/ ١١ .

لم يعنف من قال بجواز ذلك، بل أحسن الظن فيهم بقوله: "فتعظيم المولد، واتخاذه موسماً، قد يفعله بعض الناس، ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ"[١]، وقال أيضا: "كذلك ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإما محبة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وتعظيمًا، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد"[٢].

٣) ترك الطعن والتجريح:

إن من أهم أسباب التقارب والتراحم بين المسلمين هو عدم طعن أو تجريح المخالف ولو كنت لا ترى رأيه، أو كان في ظنك أنه مخطئ؛ فلربما يكون له عذر، فلا يجوز أن تنهاه عن هذا الشيء فضلاً عن أنك تسبه أو تقدح فيه، فعن الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: "إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختلف فيه وأنت ترى غيره: فلا تنهه"[٣].

أما أن يطلق المسلم لسان سيفه فيجرح به كل من يخالفه في الرأي، حتى العلماء الأفذاذ، بل حتى الأموات، فهذا أمر خطير، يقول الدكتور

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية: صـ ٢٩٧ .

(٢) المصدر السابق: صـ ١٢٣.

(٣) «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي: ٢/ ٦٩ .

يوسف القرضاوي: "من خالف هؤلاء في رأي أو سلوك - تبعاً لوجهة نظر عنده - اتهم في دينه بالمعصية أو الابتداع أو احتقار السنة، أو ما شاء لهم سوء الظن ... ولا يقتصر سوء الظن عند هؤلاء على العامة، بل يتعدى إلى الخاصة، وخاصة الخاصة، فلا يكاد ينجو فقيه أو داعية أو مفكر إلا مسّه شواظ من اتهام هؤلاء. فإذا أفتى فقيه بفتوى فيها تيسير على خلق الله، ورفع الحرج عنهم، فهو في نظرهم متهاون بالدين، وإذا عرض داعية الإسلام عرضاً يلائم ذوق العصر، متكلماً بلسان أهل زمانه ليبين لهم، فهو متهم بالهزيمة النفسية أمام الغرب وحضارة الغرب .. وهكذا.

ولم يقف الاتهام عند الأحياء، بل انتقل إلى الأموات الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، فلم يدعوا شخصية من الشخصيات المرموقة إلاّ صوبوا إليها سهام الاتهام ...

حتى أئمة المذاهب المتبوعة - على ما لهم من فضل ومكانة لدى الأمة في كافة عصورها - لم يسلموا من ألسنتهم ومن سوء ظنهم"[١].

إذاً فسلوك الأدب هو مربط الفرس في موضوع الاختلاف، فمن التزمه فاز وفرح، ومن أهمله خسر وندم، وقد قال العلماء المربون:

---

(١) «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف» للدكتور يوسف القرضاوي: صـ ٣٢.

"ما فاز من فاز إلا بالأدب، وما سقط من سقط إلا بسوء الأدب"(١).

فواجب الدعاة والمفكرين والعلماء اليوم أن يبثوا روح التعاون والتراحم بين المسلمين، ويدعونهم لنبذ الخلاف والتعصب وشغل المسلمين بهموم أمتهم الكبرى التي تعصف بهم من حين لآخر حتى يكونوا يدا واحدة وجسم واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ونحن وإن رجحنا في هذا البحث جواز الاحتفال بالمولد النبوي، فإننا نقدِّر الرأي الآخر ونكنُّ لهم كامل التقدير والاحترام؛ فكلنا إخوة وتجمعنا كلمة (لا إله إلا الله).

وبهذا آتي إلى نهاية البحث، فما كان صواب فمن الله جل وعلا، وما كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان، ومن وجد خطأً فليصلحه وجزاه الله خير الجزاء.

كتبتُ وقد أَيقنتُ حين كتبتهُ بأنَّ يدي تفْنَى ويبقى كتابُها

ستبْلَى عِظامي والحروفُ كما هي فيَا لله من يَقرأ كتابي دعا لِيا

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أسأله أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وأن يفتح علي بفهم خاص في كتابه العزيز، وأن يرزقني محبة

(١) ((أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين)) للدكتور محمد عوامه: صـ ١٩٢ .

المصطفى صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وشفاعته، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن**: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المعرفية العامة للكتاب، عام النشر: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢. **إتمام النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد آدم**: أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣. **أحكام القرآن للشافعي**: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مكتبة الخانجي - القاهرة، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٤. **أحكام القرآن**: علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بـ(الكيا الهراسي)، تحقيق: موسى محمد وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ.

٥. **أدب الاختلاف**: محمد عوامة، دار اليسر - المدينة المنورة، الطبعة الخامسة: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٦. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر: بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٧. **الإعلام بفتاوى أئمة الإسلام حول مولده عليه الصلاة والسلام:** محمد بن علوي المالكي الحسني، تحقيق: د. أحمد بن علوي المالكي، دار الحاوي، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.

٨. **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم:** أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة السابعة: ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٩. **الإكليل في استنباط التنزيل:** عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية - بيروت، تاريخ النشر: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٠. الباعث على إنكار البدع والحوادث: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، دار الراية للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١١. **البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها:** د.عزت علي عطية، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٢. **البرهان في علوم القرآن:** محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق:

محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى: ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.

١٣. **البيان النبوي عن فضل الاحتفال بمولد النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: د. محمود أحمد الزين، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الطبعة الثانية: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٤. **تاريخ آداب العرب**: محمد صادق الرافعي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة السادسة: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٥. **التحرير والتنوير**: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر والتوزيع، عام النشر: ١٩٨٤.

١٦. **التعريف بالمولد الشريف**: شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري، مخطوطة برقم (٦٤٦٤٠) كتاب خانة مجلس شورى إيراني - إيران.

١٧. **تفسير ابن كثير**: إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٨. **تفسير الرازي**: محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٩. **جامع البيان في تأويل آي القرآن**: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد

محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الأولى: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٠. **الجامع لأحكام القرآن**: محمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية: ١٤٨٣هـ - ١٩٦٤م.

٢١. **حاشية شيخ الإسلام زكريا الأنصاري على شرح الإمام المحلي على جمع الجوامع**، تحقيق: مرتضى علي الداغستاني، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢٢. **الحاوي للفتاوي**: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٢٣. **حسن التفهم والدرك لمسألة الترك**: أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، تحقيق: أ/ صفوت جودة أحمد، مكتبة القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٤. **حسن المقصد في عمل المولد**: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد الطيب بهاء الدين الهندي، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٥. **دفاع عن الإسلام**: لورا فيشيا فاغليري، ترجمة: منير البعلكي، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثالثة: ١٩٧٦م.

٢٦. **الرسالة**: محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي - مصر، الطبعة الأولى: ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م.

٢٧. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، محمود بن عبد الله الألوسي ،تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ.

٢٨. **السنة والبدعة** (تحقيق فريد لبيان المراد بالسنة في حديث الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي): عبد الله محفوظ محمد الحداد.

٢٩. **سنن ابن ماجة**: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٣٠. **سنن أبي داوود**: سليمان بن أشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٣١. **سنن الترمذي**: محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق: محمد أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٣٢. **سنن الدارمي**: عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع - المملكة

العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٣. **السنن الكبرى**: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣٤. **سنن النسائي**: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٥. **سير أعلام النبلاء**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٦. **شرح النووي على مسلم**: يحيى بن شرف النووي، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣٧. **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم**: الدكتور/ يوسف القرضاوي.

٣٨. **صحيح البخاري**: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

٣٩. **صحيح مسلم**: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري،

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٠. **عالمية القرآن الكريم**: د. وهبة الزحيلي – دمشق، تاريخ النشر: ١٤٩١هـ.

٤١. **الفتاوى الحديثية**: أحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي المكي، دار الفكر.

٤٢. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار السلام – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٤٣. **لطائف المعارف**: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار ابن حزم، عام النشر: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

٤٤. **لغة القرآن مكانتها والأخطار التي تهددها**: د. إبراهيم بن محمد أبو عباه، دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ.

٤٥. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: علي بن أبي بكر الهيثمي، بتحرير الحافظين: العراقي وابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٤٦. **مجموع الفتاوى**: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار الوفاء، الطبعة الثالثة: ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٤٧. **المدخل**: أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري المالكي الشهير بابن

الحاج، دار التراث.

٤٨. **المستدرك على الصحيحين**: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٤٩. **مسند أحمد**: أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٥٠. **المسودة في أصول الفقه**: عبد السلام + عبد الحليم+ أحمد بن عبد الحليم آل تيمية، دار الكتاب العربي.

٥١. **مقدمة في أصول التفسير**: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار عمر بن الخطاب، جمهورية مصر العربية – القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٥٢. **من أسرار التنزيل**: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطاء، دار المسلم – جمهورية مصر العربية.

٥٣. **مناهل العرفان في علوم القرآن**: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء التراث العربي.

٥٤. **منهج الاستنباط من القرآن الكريم**: فهد بن مبارك بن عبد الله الوهبي،

الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة - مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٥٥. **الموافقات**: إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٥٦. **مورد الصادي بمولد الهادي**: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الدمشقي، تحقيق: محمد علي شكري، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.

٥٧. **نثر الورود على مراقي السعود**: محمد الأمين بن المختار الشنقيطي، دار المنارة للنشر والتوزيع، السعودية - جدة، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
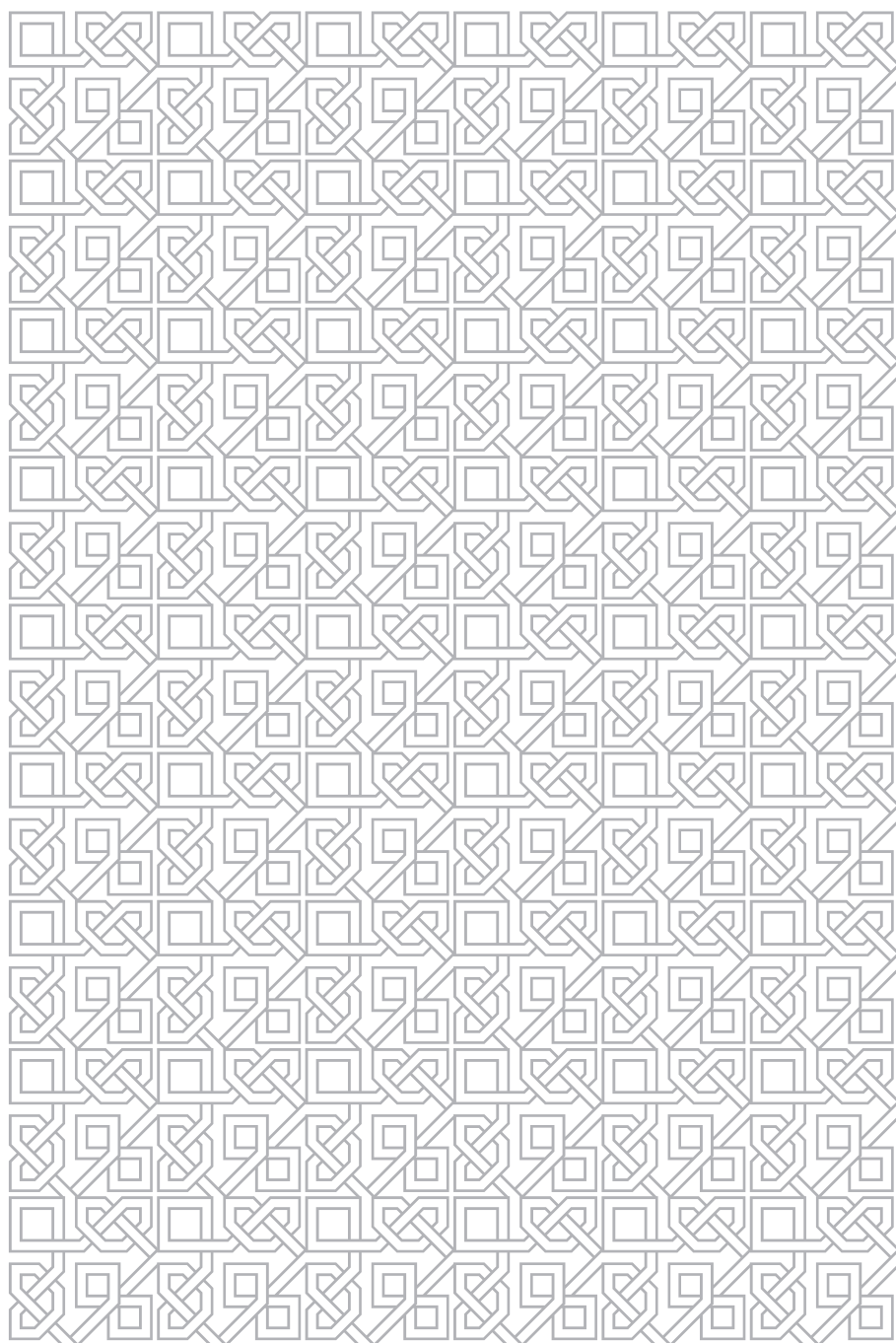
الفهــرس

المقدِّمة ٥

المبحث الأول: عظمة القرآن العظيم ٩

المطلب الأول: مظاهر عظمة القرآن العظيم.................. ١٠

١. تفضل الله تعالى بإنزال القرآن العظيم: ١٠

٢. نزوله في أفضل الأزمنة: ١٢

٣. نزوله بأرقى اللغات وأجمعها:.............................. ١٣

٤. عالمية القرآن العظيم: ١٤

المطلب الثاني: دلائل عظمة القرآن العظيم: ١٧

١) كثرة العلوم المستنبطة من القرآن العظيم:.................. ١٧

٢) خصوم القرآن العظيم وأعداؤه شهدوا بعظمته:............... ٢١

المبحث الثاني: الإجماع على أنه ما من نازلة أو حادثة إلا وفي كتاب الله بيان حكمها، وأمثلته التطبيقية ٢٦

المطلب الأول: الإجماع على أنه ما من حادثة إلا وفي كتاب الله بيان حكمها: ..٢٦

المطلب الثاني: الأمثلة التطبيقية......................... ٣٢

المبحث الثالث: نصوص قرآنية تدل على جواز الاحتفال بالمولد النبوي.... ٣٥

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾. ٤٠

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ ٤٦

المطلب الثالث: قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ٥٥

المطلب الرابع: قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.... ٦٢

المطلب الخامس: قوله تعالى: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾... ٦٥

المطلب السادس: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ ٨٠

خاتمة في أدب الاختلاف ٨٩

ثبت المصادر والمراجع ٩٩

الفهـــرس ١٠٩